المقتطف

الجزء التاسع من المجلد السادس والعشرين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٧ جمادى الاولى سنة ١٣١٩

استئصال السل (١)

خطبة الاستاذ كوخ في مؤتمر السل تلاها في ٢٣ يوليو الماضي

ان العمل المفروض على هذا المؤتمر من اصعب الاعمال لكنهُ من الاعمال التي لا يذهب التعب فيها سدًى

ولا داعي لان اشير الى عدد الذين يفتك بهم السل سنويًّا في كل البلدان ولا الى مقدار الشقاء الذي يصيب العيال بسببهِ فانكم تعلمون انهُ ما من داء يصدع قلوب البشر مثل السل ولذلك يعظم سرورنا اذا رأينا ان الوسائل التي اشير بها لتخليص الناس من هذا العدو الالد الذي ينخر عظامهم قد تكلَّلت بالنجاح

ولقد يرتاب كثيرون من نجاح الوسائل التي يقصَد بها استئصال داء وُجد منذ الوف من السنين وهو منتشر الآن في كل اقطار المسكونة اما انا فلستُ من هؤُلاء المرتابين ويقيني بالفوز لا يخامرهُ ريب لاسباب سأبسطها لديكم

منذ سنين قليلة كنا نجهل علة السل وكان المظنون انهُ ناتج عن فساد في حال المجتمع الانساني فمتى صلحت حال الناس زال هذا الداء من نفسهِ ولذلك نيطت الآمال

---

(١) [المقتطف] الكلمة الاصلية التدرُّن وهي اعم من كلمة السل لانها تطلق على التدرُّن الرئوي الذي هو السل وعلى التدرن المعوي وغيرهِ من انواع التدرن ولكننا فضلنا كلمة السل واقتصرنا عليها غالبًا من باب تسمية الكل باسم البعض لان مدلولها اوضح لدى جمهور القراء

بالوسائل التي تستعمَل لإسعاد الناس . اما الآن فتغير ذلك كلهُ وصرنا نعلم ان شقاء الناس انما يمهد السبيل لهذا الداء ولكنَّ علتهُ الحقيقية نوع من الاحياء الصغيرة التي تعيش على غيرها من الاحياء الكبيرة اي انها عدو محسوس يمكننا ان نتَّبعهُ ونستأْصلهُ كما يمكننا ان نتبع ونستأْصل غيرهُ من الاحياء التي تسطو على نوع الانسان

وكان المنتظر ان يرى كل احد امكان استئصال السل حالما كُشف الميكروب الذي هو علتهُ وعُلمت خواصهُ وكيفية انتقالهِ . وقد علمتُ فائدة هذا الاكتشاف من اول الامر وكذلك كلٌّ مَن اقتنع من الاطباء بان نسبة هذا الميكروب الى السل نسبة العلة الى المعلول. ولكن عدد الاطباء قليل لا يكفي لمقاومة داء متأَصّل واسع الانتشار ولابدَّ من ان يشترك في هذه المقاومة جميع الناس الاطباء ورجال الحكومة والسكان اجمع . وقد حان الوقت لهذا الاشتراك ولا اظن ان احدًا من الاطباء ينكر ان السل ناتج عن نوع من الميكروبات بل هذا معروف ايضاً لدى كثيرين من غير الاطباء

وممَّا يعين على ذلك النجاح الذي نجحهُ الاطباء حديثًا في مقاومة كثير من الامراض الميكروبية الاصل فقد علمنا منهُ كيف تقاوم الاوبئة. واهم ما تعلمناهُ من ذلك ان مقاومة الاوبئة لا تكون على اسلوب واحد ففي العهد القديم كانت الوقاية من الكوليرا والطاعون والجذام تجري مجرًى واحدًا بالعزل والكورنتينا والتطهير الخالي من كل نفع اما الآن فنعلم ان كل مرض مستقلٌ عن الآخر ويجب ان يُعالج على اسلوب خاصٍ بهِ وتُتَّخذ للوقاية منهُ اساليب خاصة . ويحق لنا ان ننتظر النجاح من مقاومة السل اذا جرينا هذا المجرى وايضاحاً لذلك اذكر الامثلة التالية

ان الوباء الذي لهُ الشأْن الاكبر الآن هو الطاعون الدبلي . وقد كان الناس يعتقدون ان العدوى تنتشر من المطعون نفسهِ وتنتقل بهِ وبامتعتهِ . وما قرَّ عليهِ قرار الدول اخيرًا من التدابير الصحية الواقية مبني على هذا الاعتقاد . وقد صرنا نميز كل حادثة من حوادث الطاعون بواسطة الميكروسكوب وبواسطة التجارب في الحيوانات وصارت السفن تُفتَّش التفتيش الصحي الدقيق ويحجز على الناس في الكورنتينا ويُعزل المرضى عن الاصحاء وتطهَّر المنازل والسفن بقاتلات الميكروبات ومع ذلك كلهِ انتشر

الطاعون في اماكن كثيرة واشتدَّت وطأتهُ في بعضها وقد عُرف سبب ذلك الآن لانهُ عُرف كيف ينتقل الطاعون حقيقةً . فقد كُشف ان المطعون لا يُعدي الاَّ اذا كان مصاباً بالطاعون المصحوب بالتهاب الرئة وذلك نادر لحسن الحظ وان الذي ينقل العدوى هو الجرذ . ولم تبقَ شبهة في ان اكثر اوبئة الطاعون التي انتقلت بواسطة التجارة البحرية كان الناقل لها الجرذان التي تكون في السفن . وقد وُجد انهُ حيث استئصلت الجرذان عن قصد او عن غير قصد زال الوباء سريعاً وحيث لم تبذل الهمة لاستئصال الجرذان بقي الطاعون منتشراً . وهذا الارتباط بين طاعون الناس وطاعون الجرذان لم يكن معروفاً من قبلُ ولذلك لا لوم على الذين اشاروا بالوسائل التي تستعمل اليوم لمقاومة الطاعون اذا لم تجدِ نفعاً . ولكن قد حان الوقت للاعتماد على المعارف الحديثة في مقاومة الطاعون بنوع عام وفي نقل البضائع من بلاد الى اخرى ولاسيما في نقلها في البلاد الواحدة . ولما عُلم ان طاعون البشر متوقف على طاعون الجرذان اتضح لماذا كانت الفائدة قليلة من استعمال التلقيح الواقي والمصل المضاد لسم الميكروب . ويحتمل ان البعض نجوا من الطاعون بهاتين الواسطتين ولكن ذلك لم يمنع انتشارهُ مطلقاً

والكوليرا تجري على اسلوب آخر فقد تنتقل عدواها من انسان الى انسان ولكن طريق العدوى الغالب هو الماء فلابدَّ من الاهتمام بالماء اولاً في مقاومة الكوليرا وبناءً على ذلك نجحنا في استئصالها من المانيا اربع سنوات من غير ان نصدَّ سبيل التجارة مع انها كانت تدخل بلادنا من البلاد المجاورة لنا

والنظر في الكلَب لا يخلو من فائدة فان التطعيم الواقي منهُ يمنع ظهورهُ في الذين أُعدوا بهِ ولكنهُ لا يمنع انتقال العدوى الى الانسان ولو منع ظهور نتيجتها فيهِ وانما يمنع انتقالها الى الإنسان كمُّ الكلاب لمنعها من عضّ الناس . وقد نجحنا في ذلك نجاحاً تاماً في المانيا ولكن لا يمكن استئصال الكلَب تماماً ما لم تتفق البلدان كلها على مقاومتهِ لاننا اذا منعناهُ من بلاد اتاها من بلاد اخرى

واسمحوا لي ان اذكر مرضاً آخر سببهُ يشبه سبب السل ومن ذكر الوسائل التي نجحت في مقاومتهِ فائدةٌ كبيرة وهو مرض الجذام . سبب هذا المرض ميكروب يشبه

ميكروب السل . وهو مثل السل لا يظهر الاَّ بعد وصول العدوى بزمن طويل . وسيرهُ ابطأُ قليلاً من سير السل وهو انما ينتقل من انسان الى آخر اذا اقاما معًا في غرفةٍ واحدة او في بيتٍ ضيّق . وقلما تنتقل عدواهُ الاَّ مباشرةً فلا يُنظَر فيها الى الحيوانات والمياه وما اشبه . فطرق المقاومة تكون بمنع هذا الاتصال بين المرضى والاصحاَّء وذلك بعزل المجذومين عن غيرهم . وقد جرى الناس على هذا الاسلوب في القرون الوسطى وكان الجذام قد انتشر في اوربا فاستئصل من اواسطها تمامًا . وجرى اهل نروج على هذه الخطة حديثًا وسنُّوا قانونًا لعزل المجذومين عن غيرهم وقد رأَوا انهم غير مضطرين الى عزل كل المجذومين بل الى عزل الذين تمكَّن منهم الجذام اكثر من غيرهم او الى عزل بعضهم فيقل عدد المجذومين رويدًا رويدًا . ولو فعل اهالي نروج كما فعل الناس في القرون الوسطى وعزلوا كل المجذومين لزال الجذام من بلادهم سريعًا لكنهُ سيزول بطيئًا من غير قسوة على الناس

ويظهر من هذه الامثلة ما ارمي اليهِ وهو اننا اذا اردنا مقاومة الاوبئة واستئصالها وجب علينا ان نفتش عن اصلها ونزيلهُ ولا نبدد قوتنا في الوسائل التي لا تجدي نفعًا . فهل فعلنا ذلك او نحن عازمون على فعلهِ اي هل استخدمنا الوسائل التي تقاوم داء السل من اصلهِ . ولابدَّ لنا في الجواب عن هذا السؤال ان نبحث اولاً عن كيف تنتقل عدوى السل او التدرن

يقع السل غالبًا في الرئتين وهو يبتدئ فيهما . ويستنتج من ذلك ان ميكروبهُ يصل اليهما بالتنفُّس . ولسنا في ريب من حيث المكان الذي يأتي منهُ ميكروب السل الى الهواء فاننا نعلم انهُ يأتي الهواء من نفث المسلولين (اي بصاقهم) فان نفث المسلول الذي صار سلهُ في الدرجات الاخيرة يحوي دائمًا كثيرًا من ميكروبات السل واذا سعل او تكلم خرج الميكروب من فيهِ مع ما يخرج منهُ من نقط النفث حتى اذا كان امام المسلول شخص سليم وتنفَّس الهواء الذي امتزج بهِ هذا النفث أُعدي بداء السل . ثم ان النفث الذي يقع على الارض وعلى الثياب والمناديل ونحوها يجف ويتفتَّت ويطير في الهواء ومعهُ ميكروب السل فيُعدي الذين يتنفسونهُ

فالرئة المصابة بالسل يخرج منها بلغم وقيح فيهِ ميكروبات السل وهذه الميكروبات صغيرة جدًّا فتبقى منتشرة في الهواء زمانًا طويلاً قبلما ترسب منهُ وتدخل معهُ رئات الذين يتنفسونهُ وتولّد السل فيها. وقد تصل الى اعضاء اخرى من اعضاء الجسم وتكوّن فيها اشكالاً اخرى من التدرن لكن ذلك نادر . فنفث المسلولين هو السبيل الاكبر لعدوى السل . ولا اظن احدًا يخالفني في ذلك . وهنا نسأل عمَّا اذا لم توجد سُبُل اخرى واضحة لنقل العدوى يجب اعتبارها في مقاومتهِ

كان المذهب الشائع ان السل ينتقل بالوراثة وكان لذلك شأن كبير لكن التجارب المدققة ابطلت هذا المذهب واثبتت ان انتقال السل بالوراثة نادر جدًّا جدًّا حتى يصح اغفالهُ

والجمهور على ان السل ينتقل من الحيوان المصاب بهِ الى الانسان وعلى ان هذا الانتقال مثبَت حتمًا وانهُ كثير الوقوع جدًّا حتى يحسبهُ البعض اكثر طرق العدوى انتشارًا . وسيكون لهذا الموضوع اي انتقال السل من الحيوان الى الانسان شأن كبير في مباحث هذا المؤتمر . الَّا ان تجاربي اقنعتني بما يخالف مذهب الجمهور فاسمحوا لي ان ابيّن ذلك بالتفصيل لما لهُ من الشأن الخطير

لقد شوهد السل (التدرن) في كل الحيوانات الاليفة ولاسيما في الدجاج والبقر الَّا ان سل الدجاج يختلف كثيرًا عن سل البشر حتى يصح لنا ان لا نحسب لهُ حسابًا في انتقال العدوى الى الانسان فيبقى سل البقر وهو اذا كان ينتقل الى الناس حقيقةً فلهُ سبيل واسع بشرب اللبن واكل اللحم من البقر المصابة بهِ

لما نشرتُ اول شيء كتبتهُ عن اصل السل لم اقطع بان ميكروب سل الانسان وميكروب سل البقر واحد ولكن لم يكن عندي امور مثبتة تدل على انهما مختلفان كما لم يكن في الامكان ان اثبت انهما متماثلان فتركت هذه المسأَلة من غير ان اقطع فيها . ثم كرَّرتُ التجارب مرارًا لعلي احلُّها ولكن لم اصل الى نتيجة مرضية لان تجاربي كانت مقصورة على صغار الحيوان كالارانب وخنازير الهند مع ان الدلائل كانت كثيرة على اختلاف النوعين . ثم لما مكنتني نظارة الزراعة من اجراء التجارب في المواشي وصلتُ الى

نتائج قاطعة وهنذا اتلو على مسامعكم خلاصة ما وصلت اليهِ من التجارب التي اجريتها مع الاستاذ شالمز مدة السنتين الاخيرتين

اتينا بعجول ثبت لنا بالامتحان بالتوبركولين(٢) انها سليمة من السل واوصلنا اليها ميكروب السل على طرق مختلفة بعد ان اتينا بهِ من اناس مصابين بالسل — اوصلنا الى بعضها نفث المسلولين حقناً تحت الجلد او في التجويف البريتوني او في الوريد الوداجي. ومزجنا طعام ستة عجول بنفث السل يومياً سبعة اشهر او ثمانية. وجعلنا اربعة تتنفس هواءً ممزوجاً بميكروب السل بعد مزجهِ بالماء ورش الماء في الهواء. وجملة العجول تسعة عشر ولم يظهر السل في عجل منها بل بقيت كلها سليمة وزاد وزنها كثيراً. ثم ذُبحت فلم يوجد اثر لميكروب السل في اعضائها الباطنة غير ان العجول التي حقنت بميكروب السل وجد فيها مكان الحقنة بؤرة متقيحة فيها قليل من ميكروب السل كما يوجد في حيوان حقن بميكروبات ميتة اذا كان مما يُعدى اي ان هذه العجول تأثرت من ميكروب السل الانساني كما تتأثر من ميكروب ميت

ولكن كانت النتائج على ضد ذلك حينما جرَّبنا فعل الميكروب المستخرج من بقر مصابة بهِ بعجول سليمة فان داء السل كان يظهر في اعضائها الباطنة بعد مدة الحضانة وهي اسبوع وتكون اعراضهُ شديدة جداً وكانت النتيجة واحدة سواءٌ كان الحقن بالميكروب تحت الجلد او في التجويف البريتوني او في النسيج الخلوي. اشتدَّت الحمَّى وضعفت الحيوانات وهزلت ومات بعضها بعد شهر ونصف او شهرين وذبح البعض الآخر بعد ثلاثة اشهر وكانت هزيلة جداً وظهر ان الميكروبات كانت كثيرة جداً حيث دخلت الحقنة وفي الغدد اللمفاوية المجاورة لها وانهُ حدث تغيُّر عظيم في اعضائها الباطنة ولاسيما في الرئتين والطحال. وحيث أُدخلت الحقن في التجويف البريتوني وجد النموّ التدرني الذي يمتاز بهِ سل البقر في الثرب والبريتون اي ثبت ان العجول تُعدى بسل البقر ولا تُعدى بسل البشر

وظهر الفرق بين سل البقر وسل البشر بتجربة اخرى في الخنازير. اتينا بستة خنانيص

---

(٢) [المقتطف] لقاح من ميكروب السل الممزوج بالغليسرين يعرف بهِ ما اذا كان الحيوان مسلولاً او غير مسلول

اطعمناها طعاماً ممزوجاً بنفث المصابين بالسل كل يوم على ثلاثة اشهر وأُتي بستة اخرى مزج طعامها بميكروب سل البقر ثلاثة اشهر ايضاً فبقيت الخنانيص الاولى اي التي أكلت نفث المصابين بالسل سليمة وزادت نمواً وغضاضةً واما الستة الاخرى التي مُزِج طعامها بميكروب السل من بقر مصابة بهِ فمرضت وتوقف نموها ومات ثلاثة منها و بعد ثلاثة اشهر ونصف ذُبحت الثلاثة الباقية والستة الاولى . فالستة الاولى لم يوجد فيها اثر للسل سوى درنات صغيرة متفرقة في عنقها . وكان في واحد منها نقط صغيرة رمادية في رئتيهِ اما الثلاثة الباقية من الخنانيص التي أكلت ميكروب سل البقر فوجد مرض التدرن شديداً فيها والارتشاح الدرني في غدد العنق الكبيرة والغدد الماسيريقية ووجد التدرن كثيراً في الرئتين والطحال

وظهر هذا الفرق بين سل البقر وسل البشر في الحمير والغنم والمعزى فانها حقنت بالنوعين ففعل بها الاول ولم يفعل الثاني

وتجاربنا ليست التجارب الوحيدة من هذا القبيل التي انتجت هذه النتيجة فان من يطالع ما كُتب عن التجارب القديمة يجد ان شوفو وغنثر وهرمس وبولنجر وغيرهم أطعموا العجول والخنازير والجداء مواد تدرنية فالتي كانت تسقى لبناً فيهِ قطع من رئة بقرة مصابة بالتدرن كانت تصاب بالتدرن واما الحيوانات التي كانت تسقى لبناً فيهِ من نفث الناس المصابين بالتدرن فلم تكن تصاب بهِ . وقد جُرّبت تجارب اخرى حديثاً في اميركا من هذا القبيل فكانت نتيجتها مثل النتيجة التي وصلتُ اليها . ولا شبهة في صحة النتيجة التي وصلنا اليها لاننا تجنبنا كل ما يوقع اقلَّ خطإٍ فيها

فاذا اعتبرت هذه الامور كلها ارى نفسي مصيباً بقولي ان سل البشر يخلف عن سل البقر ولا يمكن نقلهُ اليها ولكني أودُّ ان يكرّر غيري هذه التجارب في اماكن أخرى حتى لاتبقى شبهة في صحَّة قولي وصحة النتيجة التي وصلت اليها . وبناءً على ذلك قد عينت الحكومة الالمانية لجنة للبحث في هذا الموضوع

ولكن ماذا نقول من حيث عدوى البشر بسل البقر . فان هذه المسأَلة اهم جداً من المسأَلة الاولى . ويستحيل ان نحكم فيها حكماً باتاً مبنياً على الامتحان ولكن لا يصعب

علينا ان نصل الى النتيجة المطلوبة بغير الامتحان . فمن المعروف ان اللبن والزبدة اللذين يباعان في المدن الكبيرة يحتويان غالباً كميَّة كبيرة من ميكروب سل البقر وهو حيٌّ فيهما كما ثبت من امتحانهِ في الحيوانات . واكثر سكان هذه المدن يشربون من هذا اللبن ويأكلون من هذه الزبدة يومياً فيدخل ابدانهم كثير من ميكروب سل البقر وهم لا يدرون فكأنهم يجربون في انفسهم التجارب التي نحجم نحن عن تجربتها فيهم . فلو كان ميكروب سل البقر يُعدي البشر لوجب ان يصاب كثيرون بالسل من اكلهم اطعمة فيها من ميكروبهِ ولا سيما الصغار منهم . ويظن اكثر الاطباء ان هذا الامر واقع فعلاً . ولكن الامر على خلاف ذلك فاذا اصيب انسان بالسل من طعام اكلهُ ظهر السل في امعائهِ اولاً ولكن السل الذي يظهر في الامعاء اولاً نادر جدًّا . وقد بحثتُ في رمم كثيرين من الذين ماتوا بالسل فلم اجد ان هذا الداء ابتدأ في الامعاء الاَّ في اثنين منهم . وكل الذين بُحث في رممهم في مستشفى الرحمة ببرلين مدة خمس سنوات لم يوجد ان السل ابتدأ في امعائهم الاَّ في عشرة منهم . ومن ٩٣٣ ولدًا مصاباً بالسل في مستشفى الاطفال لم يوجد السل في امعاء احد منهم الاَّ وكان موجودًا في رئتيهِ ايضاً وغددهِ الشعبيَّة . وقد فتح بيدرت رمم ٣١٠٤ اولاد من الذين ماتوا بالسل فلم يجد ان السل ابتدأ في الامعاء الاَّ في ستة عشر ولدًا منهم . واستطيع ان اذكر احصاءات كثيرة من هذا القبيل تدلُّ كلها دلالة قاطعة على ان وجود السل في الامعاء ابتداءً نادر جداً ولا سيما في الاطفال . والذين ظهر في امعائهم ابتداءً لا دليل على انهم أُعدوا من البقر بل يحتمل ان ميكروب سل البشر وصل الى طعامهم او شرابهم بطريقة من الطرق ويكفي لذلك ان يبلعوا لعابهم بعد ان يدخل ميكروب السل أفواههم مع الهواء . ولم يكن احد يستطيع ان يحكم في ما اذا كان ميكروب السل الذي اصاب الامعاء من سل البشر او من سل البقر اما الآن فصرنا نستطيع ان نفرق بينهما بتطعيم العجول ونحوها بمستنبت نقي من ميكروبات سل الامعاء . وأشير ان يكون ذلك بالحقن تحت الجلد لان نتائجهُ واضحة مقنعة فاذا فعل هذا الميكروب بالعجول فاصلهُ من البقر والاَّ فلا . وقد اشتغلت بذلك مدة الاشهر الستة الاخيرة ولكن تدرُّن الامعاء نادر جداً

ولذلك فالحوادث التي بحثت فيها قليلة والنتائج التي وصلت اليها لا تدلُّ على ان سل البقر يصيب البشر

فلا يمكننا الآن ان نحكم حكماً قاطعاً ان سل البقر لا ينتقل الى البشر . ولكن يحقُّ لمن وقف على الامور المتقدمة ان يقول انهُ ان كان البشر يُعْدَون من سل البقر فذلك نادر جدًّا . ولا احسب ان العدوى من اكل لحم البقر المصابة بالسل وشرب لبنها واكل الزبدة المصنوعة منهُ اكثر من العدوى بالوراثة ولذلك لا ارى موجباً للاهتمام بمقاومتها

فاتضح ممَّا تقدَّم ان السبب الاكبر لانتقال عدوى السل هو نفث المسلولين او بصاقهم فاذا أُريد استئصال السل وجب منع انتشارهِ بهذه الواسطة

وكيف يكون ذلك . اول ما يخطر بالبال عزل المسلولين الذين في نفثهم ميكروب السل ووضعهم في مكان خاص مناسب لهم . وهذا عمل صعب لا يستطاع ولا هو لازم لان المسلول الذي يوجد في نفثهِ ميكروب السل يستطيع ان يستلقي نفثهُ كلهُ حتى لا يبقى منهُ اقل ضرر وهذا سهل ولاسيما في الدرجات الاولى من السل وحيث يكون المسلولون من اهل اليسار ويكون في طاقتهم استخدام الممرضات الماهرات . ولكن ماذا يكون شأن المسلولين الفقراء فان كل طبيب دخل بيوت المسلولين الفقراء يعلم ما فيها ممَّا تدمى لهُ الافئدة فقد تضطر عائلة كبيرة ان تقيم في غرفةٍ واحدة او غرفتين صغيرتين وليس مَن يعتني بالمسلول وبمرضهُ لان الاصحاء من عائلتهِ يجب ان يسعوا في طلب رزقها فكيف تحفظ النظافة في هذه الحال وكيف يمنع المسلول نفثهُ لكي لا يُضرَّ بهِ احد. ثم ماذا تكون حال هذه العائلة في الليل حينما تنام كلها في غرفةٍ صغيرة مع المسلول . مهما كان حذرهُ شديدًا لا يستطيع الاَّ ان يسعل وينفث وتنتشر نقط نفثهِ في هواء الغرفة فيتنفسهُ النيام فيها ولذلك تعدى عيال بجملتها ويموت واحد منها بعد الآخر ويقوم في اذهان الذين لا يعرفون كيفية انتقال العدوى ان السل اتاهم بالوراثة مع انهُ اتاهم بابسط اساليب العدوى وهذا الاسلوب لا يُنتبه لهُ لان نتيجة العدوى بهِ لا تظهر الاَّ بعد سنين والغالب ان العدوى لا تنحصر في عائلة واحدة بل تنتشر بين عيال كثيرة من العيال

المتجاورة كما ظهر من بحث الدكتور بغز في اكثر احياء نيويورك ازدحاماً . ولكن اذا امعن الباحث نظرهُ وجد ان انتشار السل ليس ناتجاً عن الفقر نفسهِ بل عن ازدحام الفقراء في مساكنهم في المدن الكبيرة لانهُ يظهر من الاحصاءات في المانيا ان انتشار السل بين الفقراء قليل اذا لم يكونوا مزدحمين ويكثر انتشارهُ بين الاغنياء اذا لم تكن مساكنهم على ما يرام ولاسيما غرف النوم فيها . فازدحام الفقراء في مساكنهم هو الذي يعرّضهم لداء السل والى ذلك يجب ان تنضى الهمم وفيهِ تبذل الوسائل حتى يُزال الشرّ من اصلهِ

ولما كان الامر كذلك اهتمَّت الممالك كلها باتخاذ الوسائل لاصلاح مساكن الفقراء وانا واثق ان هذه الوسائل التي لا بدَّ من بذل الجهد في توسيع نطاقها ستقلل انتشار السل كثيراً ولكن لا بدَّ لذلك من زمن طويل ويمكن الوصول الى الغاية المطلوبة بطريق اخصر كثيراً

اذا لم نستطع في الوقت الحاضر ان ننجو من مضار المساكن الضيقة التي يزدحم فيها الفقراء امكننا ان نخرج المسلولين منها وننقلهم الى اماكن اصلح لهم وذلك نافع لهم ولبقية السكان وهذه الاماكن هذه المستشفيات ولا اشير بنقلهم الى المستشفيات رغماً عنهم لان ذلك ليس من مذهبي بل اشير بان يمهَّد لهم سبيل التمريض الذي هم محرومون منهُ الآن

والجمهور الآن على ان المسلول الذي تمكَّن السل منهُ لا يُرجى شفاؤُهُ ولا يصلح ان يقيم في المستشفى ولذلك يقبل فيهِ على غير رضى الاطباء والممرضين ويخرج منهُ حالما يوجد سبيل لاخراجهِ . وحينما يرى المسلول ان العلاج لا يجديهِ نفعاً وان النفقات كثيرة عليهِ لطول مدة المرض تشتدُّ رغبتهُ في الخروج من المستشفى . وهذا يتغيَّر كلهُ اذا كان عندنا مستشفيات خاصَّة بالمسلولين ومجَّانيَّة ايضاً او قليلة النفقة فيدخل المسلولون هذه المستشفيات عن طيب نفس ويعتنى بهم فيها اكثر مما يعتنى بهم في غيرها . ولا يخفى عليَّ ما دون ذلك من المصاعب لكثرة ما يقتضيهِ من النفقات ولكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك جلهُ فيمكن ان تخصَّص اقسام للمسلولين في المستشفيات التي تقبلهم الآن

يساعدون فيها مالياً . فاذا دخل جانب منهم هذه المستشفيات قلَّت العدوى كثيرًا . واسمحوا لي ان اذكّركم بما قلتهُ آنفاً عن الجذام فان عزل جانب من المجذومين في مستشفيات خاصة بهم قلَّل عدد المجذومين كثيرًا . والبلاد الوحيدة التي فيها مستشفيات خاصة بمرض السل هي انكلترا ولا شبهة في ان قلة المسلولين فيها عمَّا هم في غيرها ناتجة عن وجود هذه المستشفيات . ولذلك ارى ان افضل الوسائل لمقاومة السل واستئصالهِ انشاء مستشفيات خاصة بالمسلولين واصلاح المستشفيات الموجودة الآن حتى يكون فيها اماكن خاصةً بهم . وهنا مجالٌ واسع تتبارى فيهِ همم رجال الحكومة والمجالس البلدية واهل البرّ والاحسان . ويود كثيرون من كبار الاغنياء ان يساعدوا الفقراء والمساكين من ابناء نوعهم . ولكنهم لا يعرفون السبيل لذلك فهنا مجال واسع لهم يخدمون بهِ نوع الانسان خدمةً لا تقدَّر بانشاء مستشفيات للمسلولين يمرَّضون فيها مجاناً او بالانفاق على بعض المسلولين في المستشفيات الموجودة الآن

ولكننا نخشى ان لا ننال مساعدة الحكومة والمجالس البلدية واهل البرّ في وقت قريب فيجب علينا ان نلجأ الى وسائل اخرى تمهد السبيل لهذه المستشفيات وتقوم مقامها ولو الى وقت

ومن هذه الوسائل الزام الاطباء باخبار الحكومة عن كل مسلول يشاهدونهُ . فقد اتضح ان لا بدَّ لمقاومة الامراض المعدية من معرفة كيفية انتشارها وزيادتها ونقصانها وكذلك لا بدَّ من هذا الإخبار في مقاومة السل لا لمعرفة انتشار المرض فقط بل ليُعلَم ما اذا كان المسلول محتاجاً الى المساعدة والإرشاد ولتطهَّر غرفتهُ بعد موتهِ او بعد خروجهِ منها. ولسنا محتاجين ان نخبر الحكومة عن كل مصاب بالتدرن ولا عن كل مسلول بل عن الذين يخشى من انتقال العدوى منهم الى غيرهم بسبب احوالهم المعاشية وضيق بيوتهم . وقد جرت بعض البلدان على ذلك فسنَّت لهُ بلاد نروج قانوناً بين قوانينها واصدرت لهُ بلاد سكسونيا امرًا وزارياً وجرى مثل ذلك في ولاية نيويورك وغيرها من الولايات الاميركية . وكان الإخبار اختيارياً في ولاية نيويورك ثم صار اجبارياً وقد ظهرت لهُ فائدة كبيرة وعسى ان يجري في سائر البلدان

وهناك وسيلة اخرى مرتبطة بإِخبار الحكومة وهي التطهير وهذا لا يكون الاَّ بعد ما يموت المسلول او ينتقل من مسكنهِ لكي لا يُعدى الذين يسكنونهُ بعدهُ . ويجب ان يشمل التطهير مساكن المسلولين واسرَّتهم وفرشهم وثيابهم

ومن الوسائل التي يسلم الجميع بفائدتها ولزومها تعليم الناس من كل طبقاتهم ان السل معدٍ وتعليمهم كيفية الوقاية منهُ . ومن المؤَكد ان السبب الاكبر لقلة انتشار السل حديثاً في البلدان المتمدنة هو معرفة الناس انهُ معدٍ واهتمامهم بالتوقي منهُ . فان كانت هذه المعرفة كفت لتقليل انتشارهِ فذلك موجب لنشرها حتى تصل الى كل احد و يعلم كل انسان ما ينالهُ من الضرر اذا خالط المسلولين . ولا بدَّ من ان تكون القواعد الموضوعة لهذا التعليم اخصر مما هي الآن وان يوضَّح فيها جيداً ان اشد الخطر في مساكنة المسلولين اي في النوم معهم في غرفة واحدة والاقامة معهم في معامل او مخازن لا يتجدَّد هواؤُها . ولا بدَّ ايضاً من ان يكون فيها ارشادات للمسلولين ترشدهم الى ما يفعلونهُ وقتما يسعلون وما يفعلونهُ بنفثهم

ومن هذه الوسائل ايضاً وسيلة حديثة صار لها اكبر شأْن بين الوسائل المستعملة لعلاج السل وهي المصاحّ (١) او المستشفيات الصحية التي تنشأُ لاجل المسلولين

وممَّا لاجدال فيهِ الآن ان السل يقبل الشفاء في درجاتهِ الاولى ولذلك يرى انهُ اذا بُذلت الهمة لشفاء كل الذين يمكن شفاؤُهم من المسلولين وهم في بداءة السل قلَّ عدد الذين يصلون الى الدرجات الاخيرة حينما يصير مرضهم معدياً فيقل انتشار السل . ولكن هل يمكن ان يشفى من المسلولين ما يقلل عدد الاصابات الجديدة وجواباً عن ذلك اقول: يظهر من تقرير لجنة المصاح المنشأَة لشفاء السل في المانيا انهُ سيكون فيها مكان لخمسة آلاف وخمس مئة مسلول في ختام السنة الحاضرة. ومتوسط ما يقيمهُ المسلول فيها ثلاثة اشهر فتكفي لان يعالج فيها عشرون الفاً في السنة. و يظهر ممَّا ذكر عن نتائج

---

(٢) [المقتطف] الكلمة الافرنجية سنتوريوم والجمع سنتوريا Sanatorium, Sanatoria ويراد بها الاماكن التي تنال فيها الصحة بطيب الهواء والتدابير الصحية بنوع خاص وقد ترجمناها بالمصحّ والجمع مصاحّ وفضلنا هذه الكلمة على غيرها لانها تقرب من المعنى المراد وهي غير مستعملة لمعنى آخر

المعالجة فيها ان باشلس السل يزول من خمس المسلولين الذين يعالجون فيها اي انهُ يشفى اربعة آلاف من العشرين الفاً. و يظهر من تقرير مجلس الصحة الامبراطوري ان في المانيا الآن ٢٢٦٠٠٠ مسلولاً من الذين عمرهم اكثر من ١٥ سنة وتجب معالجتهم في المستشفيات .فعدد الذين يشفون قليل جداً بالنسبة الى هؤلاء المسلولين حتى لا ينتظر منها نفع كبير في استئصال السل لكنني لا احطُّ من قدرها ولا اريد ان يُفهم مني اني لا اريد تنشيطها وانما اريد ان لا يُبالغ في نفعها حتى يحسب الناس انهُ يمكن الاكتفاء بها والاقتصار عليها وان فائدة غيرها من الوسائل قليلة والحال ان فائدة غيرها اعظم من فائدتها فقد ظهر من احصاء الوفيات من سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٨٩٧ ان عدد المتوفين بالسلّ في هذا المدة قَلَّ ١٨٤٠٠٠عنهُ لو جرت الوفيات على ما كانت عليهِ قبل سنة ١٨٨٩ وسبب ذلك معرفة عدوى المرض والاهتمام بالتوقي منهُ . وقلَّت وفيات السل في نيويورك اكثر من ٣٥ في المئة منذ سنة ١٨٨٦ بواسطة التدابير الصحية

وعندي انهُ اذا اقتصرت المصاحّ على معالجة المسلولين الذين يُرجى شفاؤهم واطيلت مدة معالجتهم اكثر ممَّا تطال الآن زادت فائدتها كثيراً وشفي فيها نصف الذين يعالجون او اكثر من نصفهم . ولكن اذا تمَّ ذلك وزاد عدد المصاح ايضاً تبقى الفائدة الناتجة منها قليلة حتى لا يمكن الاستغناء بها عن الاساليب الاخرى التي ذكرتها

واذا نظرنا الى ما تمَّ حتى الآن لمقاومة السل والى ما يمكن ان يتم لمقاومتهِ حقَّ لنا ان نقول ان البداءة حسنة جداً وتبشر بحسن الختام . وتُذكر في هذه البداءة مستشفيات السل الانكليزية والقوانين التي سنتها نروج وسكسونيا لتخبر الحكومة بموجبها عن كل مسلول والنظام الذي وضعهُ الدكتور بغز في نيويورك والمصاح وتعليم العامَّة . هذا وغاية ما يطلب الآن ان تقوَّى هذه الوسائل ويعمَّم فعلها و يزاد وان تستعمل في كل مكان لم تُستعمل فيهِ حتى الآن

فاذا سرنا في هذا السبيل مسترشدين بوسائل الطب المنعي الحقيقيَّة و بما استفدناهُ من مقاومة سائر الاوبئة وتجنبنا الطرق المضلَّة واستقصينا الشر الى اصلهِ فلا شبهة في اننا نخرج من هذه الحرب التي أثرناها على السل ظافرين غانمين

تذييل

لم يخطب احد خطبةً اقامت العلماء واقعدتهم مثل خطبة الدكتور كوخ التي ترجمناها ونشرناها آنفاً فهو مكتشف ميكروب السل ومثبت عدواهُ وهو الذي جرَّأ العلماء على القول بان سل البقر مثل سل البشر وان اكثر موارد السل من اكل لحم البقر المسلولة وشرب لبنها . لكنهُ وقف الآن وقال قولاً صريحاً انهُ وجد فرقاً كبيراً بين ميكروب سل البشر وميكروب سل البقر وان الاول لا يفعل بالبقر كما ثبت لهُ بالتجارب الكثيرة وان الثاني لا يفعل بالبشر كما يستدلُّ من قلة حوادث السل المعوي الاَّ ان العلماء الذين خطبوا بعدهُ كانوا مستعدين كلهم لتحذير الناس من لبن البقر المسلولة ولحمها وكانت الاحصاءات التي جمعوها مخالفةً لما اثبتهُ كما ترى في خطبة الاستاذ برووردل التالية وفي الخطب التي سننشر خلاصتها في الجزء التالي

وقام بعد الاستاذ كوخ شيخُ الجراحين اللورد لستر وكان في كرسي الرئاسة فقال ان خطبة الاستاذ كوخ مفعمة بالفوائد من اولها الى آخرها ولكن فيها امراً احرى من غيره بالنظر وهو نسبة سل البشر الى سل البقر فان هذا الامر على غاية الاهمية لانهُ اذا كان الدكتور كوخ مصيباً فقد تسهَّلت الوقاية من السل كثيراً ولكن اذا كان مخطئاً واهملت العناية بنقاوة اللبن واللحم فهناك الخطر الكبير والضرر الكثير . ثم قال ان الادلة التي اقامها الدكتور كوخ على ان سل البشر لا يعدي البقر مقنعة على ما يظهر لهُ ولكن لا ينتج عنها مطلقاً ان سل البقر لا يعدي البشر ولا الادلة التي ذكرها الدكتور كوخ لذلك كافية ولا بدَّ من استئناف البحث والتنقيب في هذه المسأَلة قبلما يقرُّ المؤتمر على قرار فيها

وتلاهُ الاستاذ نوكار اكبر ثقة في فرنسا في طب الحيوان وقال ان الخطر من اتصال سل البقر بالبشر ليس كبيراً كما ظنَّ الناس حديثاً ولا صغيراً كما قال الدكتور كوخ الآن . ولعلَّ قصور ميكروب السل البشري عن التأثير في البقر ناتج عن تغيُّرٍ حدث فيهِ بتغيُّر الاحوال واشار الى ان حوادث السل قلَّت النصف في بلاد الانكليز بالتدابير الصحية الاَّ السل المعوي الذي يصيب الاطفال فانهُ لم يقل بل زاد للاعتماد في تربيتهم على لبن البقر كما اثبتهُ السر رتشرد ثورن . وقام بعدهُ الاستاذ بانج الدنمركي والاستاذ ودهد الانكليزي وايَّدا قولهُ

والظاهر ان اعضاء المؤتمر كلهم مخالفون للدكتور كوخ ولكنهم على غاية الحذر لئلاَّ يكون مصيباً وهم مخطئون . وقد شرعت الحكومة الاميركية في اعادة تجارب كوخ وتمحيصها وسنوافي القراء بما يقرُّ عليهِ قرار العلماء الباحثين في هذه المسأَلة الخطيرة

اساليب منع السل

خطبة الاستاذ بروردل رئيس مدرسة باريس الطبية تلاها في مؤْتمر السل في ٢٤ يوليو

ان عدد المتوفَّين بالسل يختلف باختلاف البلاد فقد كان في بعضها سدس الوفيات وفي بعضها الخمس وفي البعض الآخر الربع — فتك ذريع مثل هذا اضطر كل الامم والحكومات ان تدقق البحث عن الوسائل المانعة انتشار هذا الداء المميت الذي هو الدُّ اعداء الانسان ومن العجيب ان صوت الإِنذار بهذا الخطر العظيم اقتضى قروناً كثيرة حتى سمعهُ الناس وان اجدادنا بقوا القرون الطوال ينظرون الى هذا الداء الوبيل المحيق بهم غير مكترثين لهُ ولا مهتمين بهِ

وكان لهذا الاهمال او عدم الاكتراث اسباب عديدة . فقد اعتبروا ان الاهتمام بامر هذا الداء عبث لانهُ داءٌ عياءٌ لا ينجح فيهِ دواءٌ ولا يُعرَف كيف ينتشر . وبالغوا في بعض ما شاهدوهُ من امرهِ فحكموا انهُ وراثيٌّ واسترسلوا الى هذا الحكم واتخذوهُ وسادة للتراخي والتقاعد عن البحث والتفتيش عن اصلهِ . والملاحظات المبنيَّة على الاختبار اعتُبِرت كأَنها حكايات عجائزية فقد روى الطبيب مورغاني انهم كانوا في ايطاليا في القرن السابع عشر يحرقون امتعة الذين يموتون بالسلّ خوف العدوى وهذا الطبيب نفسهُ قال صريحاً عن نفسهِ انهُ كان يتهيَّب فتح رمَّة مسلولٍ خوفاً من سريان العدوى اليهِ . ولكن لما قام فلمن في مدرسة الطب في ٥ دسمبر سنة ١٨٦٥ وأَجرى تجارب وامتحاناتٍ برهنت وجود العدوى حقيقةً وجاء بعدهُ رصيفنا الشهير الاستاذ روبرت كوخ واكتشف واثبت للاطباء وجود المسبّب لهذه العدوى حينئذٍ شعر كُل واحد بانفتاح باب جديد للفرج وارتاحت كل امَّة الى الاستفادة من الخير العمومي المبني على هذه الاكتشافات العلمية الحديثة . وقبلما شُهِرَ اكتشاف العالمين اللذين نوهتُ بهما الآن كان الشعب الانكليزي قد تحفَّز لتلافي الخطب ونهض للعمل واذ تحقَّقوا بالاختبار ان السلّ تطيب لهُ الاقامة في الاماكن المظلمة الرطبة حيث يشري شرُّهُ ويزداد فتكهُ سنُّوا سنَّة منذ سبعين سنة بوجوب بناء المنازل على قواعد صحيَّة . ومنذئذٍ لم تفتر همتهم ولا كلَّت عزيمتهم بل سنُّوا عشر سنن أُخرى واصلحوا بيوت الفقراء والمعامل والمدائن والمملكة كلها . وهذا العمل الخطير وسُم باسم جلالة الملكة التي عُنِيَتْ بإنفاذهِ فسمي عصرهُ عصر فكتوريا وكفاها بهِ اجلالاً وتكرمة . واني باسم جميع مواطنيّ اتحد مع زملائي من الشعب الانكليزي في اتخاذ هذا الاسم الاثير واطلاقهِ على الجهاد الصادق الذي قضي في هذا السبيل والنجاح العظيم الذي نتج عنهُ فقد قلَّت وفيات السل في البلاد الانكليزية اربعين في المئة فلكم الفخر

بذلك وما علينا الآن نقتفي خطواتكم

وقد اقتُرح عليَّ أن اخطب في الاساليب التي اتخذتها الأُمم منعاً لتفشي داء السلّ فلبيّت الدعوة ووددتُ من كل قلبي ان اعمل مرضاة زملائي الفضلاء ولكن لسوء الحظِ يصعب عليَّ الحصول على التقارير الصحيحة في هذا الشأن . والوقت المعين لتمحيصها أقصر مما يطلبهُ هذا الموضوع المهمّ فاخاف انَّ كلامي لا يخلو من الايجاز الكثير ومن الغلط ايضاً على اني أُسرُّ بأن أُنبّه الى ذلك وارجو من زملائي ان لا يبخلوا عليَّ بهذه المنَّة فتدرك رغائب اللجنة وتصبح كل امَّةٍ باطلاعها على ما فعلتهُ جاراتها مرتاحةً الى المنافسة والمسابقة في ما يعمُّ نفعهُ وتجمل فائدتهُ

ايها السادة ان الاسباب المبني عليها منع السلّ هي واحدة في كل بلاد وعليها اجمع اطباء العالم . فالسلُّ يسهل اتّقاؤُهُ ويمكن شفاؤُهُ : والوسائط المتخذة لتحقيق هذين الامرين هي هي في كل البلدان ولكن بعض الأُمم نالت فيها الاسبقية بهمة علمائها المحرّضين على ذلك والمشوّقين اليهِ وفضلِ حكومتها المنفذة لقوانينها الآمرة بهِ

فاستأذنكم في الالتفات الى سنِّ القوانين الصحية . اذا كان القانون يعترض اعمالنا اليومية ويناقض عاداتنا الراسخة ويقتضي مع ذلك ان ينفَّذ في بيوتنا لا يستطاع تنفيذهُ ما لم يطلبهُ الرأي العام ويقنع الجميع بفوائدهِ ويتحقق كلُ انسانٍ خطر العادات الرديئة ويصبح مستعدًّا بنفسهِ لاصلاحها والطلب الى جارهِ ان يأخذ مأخذهُ ويجري مجراهُ . هذه هي حقيقة الحال في انكلترا وأراها افعل واسطة للاصلاح العامّ . فاول ما تدعو الحال اليهِ تنبيهُ الرأي العام وتهذيبهُ ولعلكم تسألونني كيف نجح تنبيه الرأي العام الى مضادة السلّ ومقاومتهِ . فقد انشأتم في انكلترا سنة ١٨٩٩ برئاسة سمو البرنس اف ويلس (جلالة ملكها الحالي) جمعية وطنية لمنع السلّ وغيرهِ من الامراض التدرنية . وكان غرضها اجراء المنع بواسطة تهذيب عامة الشعب ونشرتم مجاناً كراريس في هذا الموضوع منها " الجهاد ضد السل " و" اللبن والتدرُّن " و" الهواء النقي واطلاقهُ " و" كيف يمنع السلُّ " الخ . وقد تألفت تلك الجمعية من رجال في مقدمتهم الرجال الذين فتحوا هذا المؤتمر . والمانيا أسَّست جمعيات لاجل بناء المصاحّ (الملاجىء الصحية) وجمعيات أُخَر لاجل نشر هذا الرأي وجعل التدابير الصحية من الامور المألوفة . وهي صغيرة ومنتشرة في البلاد وتطبع كراريس تنشرها لافادة العامة . وفي البلجيك عُقدت محالفة على السل مقرها في بروكسل ولها في كل مقاطعة فرعٌ مستقلٌ . وفي نروج اقرَّ مجلس الامة على انفاق ٤٠٠٠٠ ريال على طبع وتوزيع كتاب موضوعهُ السلّ تأليف الدكتور كلدس هُسن . و ٢٠٠٠ ريال تعطى لفريق من الاطباء نفقة سفرٍ الى حيث يتمكنون من الالمام بادارة المصاحّ (الملاجىء

الصحية) . وفي فرنسا انتخبت جمعية مقاومة السلّ بالتعليم العمومي التي بادارة الدكتور بيرو كلّ مَن رأتهُ قادراً على التعليم ومسموع الكلمة نظير لاڤيس وماتينون وڤكتورين وساردو ولاندوزي وغيرهم . وكثيرون منا خطبوا على الجماهير واوضحوا لهم قوانين التوقي حتى كادت تعمّ النهضة لمقاومة السلّ . وقد تذرعتُ بنصبي كرئيس للمجمع الصناعي الى نشر التعليم العمومي في باريس . وفي هذه السنة أُلقي ٨٨ خطاباً في السلّ على ١٢٠٠٠ نفس . وهكذا اخذ العامة في كل بلاد يتحققون بالتدريج شدة ضرورة الاعتناء والنظافة الشخصيَّين لمنع العدوى وان المسلول لا يكون منهُ خطر الاَّ اذا لم تؤخذ لهُ الاحتياطات اللازمة ولم يعتنِ هو نفسهُ بوقاية اقربائهِ واصدقائهِ ورُفقائهِ من العدوى

ولا يجوز ان تُشرَب القلوب شدة كراهة السلِّ ونبذ المسلول . فقد كان المسلولُ قديماً يعيش اشهراً عديدة بدون ان يُعديَ زوجتهُ واولادهُ . والخطر في اللعاب او النفث الذي يحتوي على الوفرِ من الجراثيم المعدية . والنفث او البصق على الارض عادة قبيحة كثيرة الخطر . وبزوال هذه العادة يقلُّ انتشار السل على الفور . اما فعل النفث في نشر السل فيختلف باختلاف الاحوال ودرجات السل فاذا جُمع البصاق في مبصقة خاصَّة او مبصقة عامة ولكن فيها مواد مضادَّة للفساد او أُتلف بحرقهِ او غير ذلك من الوسائط لم يعد فيهِ من خطرٍ على احد . واذا أُلقي في ارضٍ ناشفةٍ معرَّضة لاشعة الشمس يفقد خواصَّهُ الضارَّة . اما اذا بقي في ارض رطبة مظلمة يحفظ قوتهُ الى وقت طويل وهكذا يرتاد فرائسهُ في الاماكن المظلمة الرديئة الهواء والخالية من النور

وهذا الامر قد اصبح معروفاً عند كل الأُمم لكنَّ الفضل الاعظم لانكلترا التي تنبَّهت على هذه الحقيقة المهمة قبل غيرها وتوفقت الى حلّ هذه المسألة الخطيرة على وجهٍ مختصٍّ بها . واذ عُلم ان المساكن التي لم تُراعَ فيها الشروط الصحية تُعين على انتشار هذا الداء الوبيل سُنَّت القوانين القاضية بهدم مثل هذه المساكن وبناء المساكن الموافقة للصحة

فقد سننتم منذ عام ١٨٣٦ قوانين لبناء المساكن الصحية وهذا الحرص من الحكومة شوَّق اهل الخير والاحسان الى الاشتراك في هذا العمل المبرور فقام منهم اناسٌ ينبغي ان تظلَّ اسماؤُهم مذكورةً بالخير لدى المهتمين بحفظ الصحة العمومية

اما في المانيا فلم يهتم الجمهور بهذا العمل الاهتمام الواجب لكنَّ الامة البلجيكية كانت من اشدّ الأُمم غيرةً على العناية بشأنِ المساكن الصحية . وفي الدنمرك بلغت جمعيات المباني الصحية غاية التقدم وسنة ١٦٠٠ جعل الملك خرستيان الرابع نفسهُ مثالاً بأن بنى بيوتاً بجنَّاتٍ وجعلها

مساكن لخدمتهِ . على ان جراثيم السلّ اذا وقعت في بيت رطب مظلم تحتفظ بقوتها ونشاطها وقتاً طويلاً سواءٌ كان ذلك البيت في المدينة او في الاماكن المحيطة بها حيث يكون السكان مزدحمين . وليس غريباً أن نرى في باريس في غرفة واحدة خمسة اشخاص او ستة او ثمانية واحياناً اثني عشر شخصاً ساكنين معاً . وفرص العدوى تكثر بهذا السبب وحدهُ وزد عليهِ قذارة السكان وعدم امكانهم ان يعتنوا بالنظافة المطلوبة

فتتولد بعض بُؤَر السلّ في تلك المساكن وتشن الغارة على غيرها فان الفعلة والخدمة يحملون الجراثيم الى معاملهم ومصانعهم ويجعلون المدينة مقرّ العدى . لكنني هنا ينبغي ان اتنبه على حقيقةٍ مهمة واحذر فلا اركب متن التغرير والتضليل . فالمدينة لا تكون موبوءة كلها بل يختلف عدد الوفيات بالسلّ في احياءٍ ملاصقةٍ بعضها لبعض اختلافاً بيناً . ففي احياء باريس يختلف عدد المتوفين بالسل من ١٠ الى ١٠٠ في كل ١٠٠٠٠ ساكن وفي كل حيّ مرتع خصيب لجراثيم السل . فهذه علينا أن نكتشفها ونقوّضها ونزيلها . وفوق ذلك ايضاً يجب الاحتراز من بناء منازل جديدة مخالفة للقواعد الصحية لانها تكون خطراً على المدينة والبلاد . وفي اكثر المدن الآن نرى رسم البيوت خاضعاً لقوانين بلدياتها الصحية وهو احتياط ضروريٌّ جداً لا صرامة فيهِ مهما بولغ في انفاذهِ . هذا وانّ مضار المسكن الذي لم تراعَ في بنائهِ التدابير الصحية لا تنحصر في خطر العدوى المشار اليها . فان الحاجة الى النور والهواء تؤثر في تغذية سكانهِ فيهزل الاولاد ويعجز الاقوياء عن المقاومة ويصبح كل ساكن في مثل هذه البيوت عرضةً لتطرّق الامراض المعدية اليهِ . واذا قصرنا نظرنا على السل رأينا ان هذه المساكن تعد الناس لهُ وتجعل اقواهم كما لو كان مولوداً من ابوين مسلولين . فالنظامات الانكليزية والالمانية والايطالية والفرنساوية وغيرها مما اشرت اليهِ قبيل هذا سديدة صحيحة ويجب ان تنفَّذ على الدوام خصوصاً عند ما يعرض الميل الى حشد الجانب الاعظم من السكان في المدن وعند ما تراعى الاسباب الصحية في المدن تضمن الصحة في البلاد كلها . والمساكن التي لم تراعَ فيها اسباب الصحة تسبب بلايا أُخر لانها اذ تكون مظلمةً ومزحومةً فالنظافة يصعب حصولها فيها ان لم نقل يتعذر ولا يرى اهلها ما يستميلهم الى قضاء الوقت فيها ولذا قلما يمكث العامل في بيتهِ . نعم انهُ يأكل وينام فيهِ ولكنهُ يقضي باقي وقتهِ في الحانات . ولقد صدق جول سيمون بقولهِ " ان منازل الفقراء مصادر الحانات " ولنا ان نزيد عليهِ ان الحانات مصادر السل . وبالحقيقة ان ادمان المسكرات اعظم عامل على انتشار السل واقوى انسانٍ متى اعتاد المسكر اصبح ضعيفاً جداً وعاجزاً عن مقاومة هذا الداء

ويعوزني الوقت لِأتكلم عن القوانين المسنونة لاجل كبح جماح هذا الشرّ المستفحل وردّ تيَّار هذا الآفة الطاغية . لكنني اقول ان صراخًا عامًّا من اقصاء المعمور ينذرُ بالويل والثبور ويشير الى آفات المسكرات فكلُّ وسيلةٍ او واسطةٍ مأخوذةٍ من حكومةٍ او فردٍ من افراد الرعية لتقليل اضرار المسكرات تكون اكبر عونٍ لنا على هذا الجهاد المشروع فيهِ ضدّ السل على انّ هذه المسألة اكبر من ان نبحث فيها هنا ومع ذلك اودُّ التنبيه على خطاءٍ كثيرًا ما يرتكبهُ وزراءُ المالية في بلدان مختلفة . فانهُ يحلو لهم ان يذكروا المبلغ الذي تفرضهُ الحكومة ضريبةً على المسكرات لكنهُ يجب عليهم ان يطرحوا منهُ ما تتكبدهُ الامة من الخسارة بكل عائلة سكيرٍ تحكَّم بهِ التلف والخراب وترك لها اولادًا فاسدي الاخلاق منحطي الشأن عرضةً للادواء الوبيلة والامراض المعدية كالداء الخنازيري والصرع وغيرها وفي حاجةٍ شديدة الى كل شيءٍ . ان هده الغارة الشعواء التي يشنها المسكر ينبغي ان يعتبرها كل واحدٍ خطرًا عامًّا طارئًا . وهذا الحق الصريح الذي لا ريب فيهِ ويجب ان يكون معلومًا عند كل انسان هو أنَّ مستقبل العالم في ايدي اهل الصحو والاعتدال الذين يعافون المسكر . والمخاطر المحيطة بإنسانٍ في بيت مضر بالصحة هي نفس المخاطر المحدقة بمن لاجل عملهِ او واجباتهِ او مسرَّتهِ او لسبب مرضٍ او امرٍ آخر يمكث يومًا او جزءًا من اليوم في مكانٍ ازدحمت فيهِ اقدام كثيرين غيرهِ وازدادت الاسباب المضرة بالصحة . فان كان ذلك الانسان صحيحًا فالخطر عليهِ من رفقائهِ . وان كان مريضًا فعليهم الخطر منهُ . وهذا الخطر من مخالطة الناس الذي لا بدَّ منهُ في عصر التمدن يزداد كل يوم فهو الجزاءُ المفروض وبهِ يعلل انتشار السل المخيف . وبهذا الاعتبار نُظر في امر اولئك الذين أُعدُّوا للمرض بالوراثة العائلية ورداءة مساكنهم فكان من الواجب في بعض البلدان ان يُسعَى في تقوية هؤُلاء المنكودي الحظ ويؤَهَّلوا لصد هجمات الخطر الذي يتهددهم.

ولقد اصاب من قال ان الحداثة والشبيبة يسهل فيهما التأثير على الانسان اكثر مما في غيرها من اطوار الحياة وانَّا مديونون لبعض المدن والافراد في ايطاليا وفرنسا وغيرهما من البلدان التي هزَّتها الاريحية لبناء مصاحّ (ملاجئ صحية) على الشواطئ البحرية للاولاد الضعفاء ففي فرنسا ١٤ مصحًّا يأوي اليها سنويًّا اكثر من ٢٠٠٠ ولد وقد نتجت عنها نتائج حسنة. وليؤذن لي هنا ان اقول اننا مديونون بهذا النجاح للهمة والنشاط المبذولين من لدن استاذنا الجليل الدكتور برجرون . Bergeron وقد نحت بعض البلدان هذا المنحى فانشأَت مصاحَّ ترغب الناس في قضاء اوقات العطلة في السواحل البحرية او الاماكن الجبلية . وكل ما عمل من هذا القبيل بواسطة اهل النجدة والإحسان يعين على انقاذ المساكين من مخالب العدوى .

وسنة ١٨٩٣ انشأَت مدام هرفيين في سيدان حدائق عمل للاولاد والشبان ووالديهم ومساحة هذه الحدائق اكثر من الفَي متر مربع تسع ٣٢١ عائلة مؤَلفة من ١٢٥١ نفساً . والجمعية تمدُّ كلاً عائلةٍ بما يلزم لها من الادوات والبذار والسماد . وسنة ١٨٩٤ اقام الاب ڤولبَتْ بساتين للعمل في سنت اتين مساحتها نحو ٤٢ فداناً تسع ٤١٠ عائلات مؤَلفة من ٢٤٦٠ نفساً ويوجد من هذه البساتين في برسي وبعضها انشئَ حديثاً في فونتنبلو وفلرباين بقرب ليون

وقبل النظر في مسئلة شفاء السل اتكلم ولو بغاية الايجاز على الوسائط المتخذة لمنع عدوى السل بالطعام . فمنذ ما اوضح شوفو ان جراثيم التدرُّن التي تكون في الطعام تولِّد تدرُّناً في الامعاء انصرفت العناية الى منع اكل اللحم واللبن من الحيوانات المسلولة . اما من جهة اللحم فمراقبة المسالخ في المدن الكبيرة تقضي هذه الحاجة . وفي البلجيك نرى هذه الواسطة مرعيَّة الإجراء في الارياف ايضاً لكنني لا اعرف مملكة اخرى تفتّش فيها المجازر الخاصَّة حيث تُذبح البقر المسلولة والخنازير المصابة بالحصبة والحيوانات المختلفة الامراض ومع ذلك تترك الحيوانات من غير فحص ويؤكل لحمها الضارّ طريَّاً او فطائر او مقانق لم تنزع منها الاحشاء المتدرنة . ومما لا يصح الاغضاء عنهُ نقل اللحم من بلد الى آخر فان قطع اللحم ترد من الارياف الى الباعة في المدن من غير ان تفحص . ولا يصحُّ الاغضاء عن نشر السل بواسطة اللحم كما لا تصحُّ المبالغة فيهِ . ولكن في طاقة الحكومة ان تقي شعبها منهُ . وقد تقدمتنا حكومة البلجيك فكانت لنا خير مثال

وليس من ريب في ان بعض اللبن الذي يشربهُ الناس هو من بقر مصابة بالتدرُّن في ضروعها . وقد اشار الهجينيّ الانكليزي الشهير السر رتشرد ثورن الى ان عدد الوفيات بالسل بين البالغين في انكلترا قد تناقص منذ سنة ١٨٥٠ نحو ٤٥ في المئة ثم تأَسَّف على أنهُ رأى عدد الوفيات بالداء المذكور بين الاطفال زاد من ذلك العهد ٢٧ في المئة . وعندهُ أنَّ هذه الزيادة نشأَت عن تدرُّن الامعاء بسبب شرب الاطفال من ابن سنة فما دون لبناً تشوبهُ العدوى لان البقر في انكلترا لا تُفحَص . أمَّا في فرنسا فالظاهر ان النظام يجيز مراقبة البقر ومقاليدهُ في ايدي حكام المدن لكنَّ هؤُلاء لكي يُنْفذوا القانون ينبغي ان يبلغهم خبر البقر المصابة في ضروعها وهذا انما يستطيعونهُ اذا اخبرهم بهِ البقَّارون (اصحاب البقر) وهؤُلاء لا يعلنون ذلك الاَّ متى جفت الضروع ولم يعد فيها من خطر يتهدَّد الغير . وليس يخاف ان اللبن في الغالب يكون مزيجاً من بقرات متنوعةٍ ولبن بقرةٍ واحدةٍ مصابةٍ بالتدرُّن يكفي لافساد المزيج كلهِ . فلدرء هذا الخطر ينبغي اعتماد وسائل الفحص المدقق والمراقبة المستمرَّة كما

هو جارٍ منذ سنين عديدة في بلاد الدنمرك واسوج ونروج . وريثما تتحقق هذه الامنية يجب التذرُّع الى رفع الخطر باغلاء اللبن قبل شربهِ وهذا الامر ينبغي اذاعتهُ وتعميمهُ بالرغم عمَّا ارجف البعض بقولهم ان اللبن المغلى قليل الغذاء صعب الهضم

واذا أُصيب انسان بالسل وجب بذل المستطاع لاجل شفائهِ لانهُ يمكن ان يشفى وليس من ريب في هذا الامر . فمن اختباري الشخصي في معرض الجثث في باريس حيث اشرح غالبًا جثث المتوفين غرقًا استطيع القول انهُ في نصف الحوادث — هذا اذا كان الميت سكن باريس منذ نحو عشر سنين — وجدتُ آثارًا تدلُّ على ان الميت اصيب بالسل وشفي منهُ . ومن الواضح ان الذين فتحت رممهم في الملاجيءِ والمستشفيات ومعرض الجثث لم يتخذوا شيئًا من الاحتياطات التي نحسبها ضرورية . وبالرغم عن عوائدهم القذرة المضرَّة كانت بنيتهم قويةً على صدّ غارات الداء . ولهذه الآثار التشريحيَّة معنى آخر وهو انها تدل على ان السل كان متقدمًا فيهم جدًّا . فالسل يقبل الشفاء حتى في اقصى درجاتهِ وهذه حقيقة مصدقة من مشاهير الاطباء . وقد قال غرانشهِ " ان شفاء المسلولين ايسر من شفاء المصابين بباقي الامراض المزمنة "

وبما انَّ شفاء المسلول ممكن فمن الواجب ان يُبْذَل الجهد في تحقيق ذلك . واذا اقتنع الطبيب بشفاء مريضهِ تغير التفاتهُ الى هذا الداء . اما قبلاً فإذ كان قانطًا من انهُ يستطيع عمل شيءٍ لمريضهِ لم يكن يجسر ان يخبر المريض ولا اصدقاءهُ بطبيعة المرض . امَّا الآن وقد صار الشفاء ممكنًا فصار يعامل المريض بعكس المعاملة السابقة . واذا صح انهُ يمكن الشفاء من السل في كل درجاتهِ فمن باب اولى يكون الشفاء ممكنًا اذا تحوَّط المرءُ من باديء الامر قبلما يتمكن السل منهُ اي حينما تكون المقاومة في جسمهِ قوية . ولا بدَّ للطبيب من ان يخبر المريض وعائلتهُ انهُ مصاب بمرض منهُ خطر شديد ولكنهُ يقبل الشفاء ولا يستطيع ذلك ما لم يكن قادرًا ان يخبر المريض بافضل طرق العلاج العلمية التي يستخدمها

وما هي افضل الطرق وكيف يتمُّ اجراؤُها في البلدان المختلفة . ففي هذا الخطاب اقصر بحثي على المرض من حيث فعلهُ بالفعلة والمستخدمين . والعلاجات التي يشار بها فيهِ تختلف بحسب الدرجة التي بلغها المرض وكون المريض غريبًا او متزوجًا او ربَّ عائلة . ولهذا الداء ثلث درجات محدودة . ففي الاولى يسعل المريض ويصاب بالزكام فماذا يعمل في الغالب . اما انهُ لا يكترث للامر او انهُ يبتاع من الصيدلي دواءً ليزيل السعال . وتمرُّ الايام والاسابيع والاشهر فان اشتدت وطأة البرد تسوءُ حالهُ وان اعتدل الهواءُ تحسَّن قليلاً . ولا تلبث ان

تنوبهُ اعراض شديدة ثم تصيبهُ الحمَّى والنحول فيضطر ان يترك عملهُ ويظن ان مرضهُ ابتدأ مذ الآن ونحن نعلم انهُ يكون قد وصل الى الدرجة الثانية وان المعالجة صارت ضربًا من العبث في الغالب . اذًا تهمنَّا الدرجة الاولى من هذا المرض حين تكون المعالجة مفيدة . فبأيّ شيءٍ نستطيع ان نفيد المسلول في الدرجة الاولى

ففي المانيا مستوصفات متعددة للمسلولين في المدن الكبيرة منها حيث يكون الطبيب مجهزًا بالادوية اللازمة ومستعدًّا لمشاهدة المرضى الذين يأتون اليهِ . وهناك لجنة مؤَلفة من رجال البر ونساء الاحسان تفتش عن المسلول في بيتهِ وتخبر زوجتهُ بما ينبغي ان تفعل لهُ وتساعدها على حفظ البيت نظيفًا وتنظر في اعداد اساليب الوقاية وتقدم لهُ ما يقوم بمعيشتهِ ومعيشة اهل بيتهِ . وقد اشار المسيو كالمت بذلك سنة ١٨٩٩ وزاد عليهِ انهُ عوضًا عن ان ننتظر المسلول ليأتي ويستشير الطبيب نذهب اليهِ نحن وندعوهُ الى ذلك دعوةً ونعرض مساعدتنا عليهِ قبلما يشعر بانهُ في خطرٍ . قال واود ان اكتشف التدرن حالما ينشأُ واتمكن من ارشاد المصاب بهِ الى استعمال الوسائط الضرورية وهو باقٍ مع عائلتهِ غير مضطرٍ الى مفارقتها . وقد اخرج كالمت هذا الامر من حيز القوَّة الى الفعل فانهُ انشأَ صيدلية مجانية للعلاجات المضادة للسل في ليل سماها اميل رو فنجحت نجاحًا عظيمًا وقد اسس الدكتور بونه محلاً اشبهَ بهذا في باريس في حي مونت مارتر وأُخذ في بناء اماكن اخرى من هذا النوع . وقد تبين بالاختبار ان الفعلة لا يأنفون المجيء الى هذه الاماكن بعضهم لداعي السعال والبعض لشعورهم بالداء . وعندي ان افضل طريقةٍ يُثار بها هذا الداء من مكمنهِ هي ان يقام على الفعلة رقباء ووكلاء يلاحظون رفقاءهم حين يسعلون وينصحون لهم ان يذهبوا الى حيث يعالجون واذ يرسخ في اذهانهم ما في وساخة المعامل وساحاتها من الخطر يرتاحون من تلقاء انفسهم الى الدأب على حفظها نظيفةً وهكذا يتعلمون مقاومة هذا الداء العياء . والذين يأتون الصيدلية يصادفون عناية كبيرةً من الاطباء ويُخبرون ان هذا الداء ينتشر بالبصاق وادمان المسكرات . ويُعتنى بهم ويعطون مرق اللحم مرَّة او مرَّتين في اليوم كما تسمح الاحوال . وتُمدُّ يد المساعدة لعيالهم وتُراعى الشروط الصحية في بيوتهم

وبعض هؤلاء المرضى ينبغي ارسالهم الى المصاح فان كان المريض عزبًا ويمكن ارسالهُ الى واحدٍ منها فذلك اضمن لشفائهِ . اما ذهاب المتزوج فيتطلَّب الاعتناء بامرأَتهِ واولادهِ مدة غيابهِ لكي لا يشغل بالهُ بهم ولا يقلق لاجلهم

وليس من غرضي البحث عن بناء المصاح وتدبيرها . ولكن ينبغي ان نذكر فقط انها يجب

ان تكون منفردة لا تتطرَّق اليها عفونة ولا فساد حسنة الترتيب المعالجة فيها بالراحة الطبيعية والادبية والغذاء الكثير والهواء النقي

وهذه الطريقة قد اتبعت في المانيا بارتياحٍ ونشاطٍ لا مزيد عليهما وقد ساعدت الحكومة فضلاً عن أهل الخير والاحسان على تأييد هذا العمل العظيم متحققةً فائدتهُ العظيمة . وفي المانيا الان ٨٣ مصحًّا عموميًّا مفتوحًا او على اهبة الفتح وهي تسع ١٢٠٠٠ مريض سنويًّا . أنشأتها شركات الضمانات وبنوك المرضى والمعامل التي تكاتفت على تأسيسها لفعلتها ومستخدميها ووضعت ضريبة في بعض الاماكن وهي طفيفة من نصف غرش فاكثر على النفس . وقد بنت الحكومة عدة مصاحٍّ لمأموريها واقرَّت لجنة المالية في مجلس النواب ان يبنى مصحٌّ للحكومة تحت ادارة وزير الداخلية . والمعالجة تقتضي ٩٠ يومًا على الاقلّ وقد علم بالاختبار انهُ يحسن بالمرضى ان يقضوا في المصحّ شهرًا آخر من السنة التالية

وكان من الذين غادروا المصاحَّ وهم قادرون على العمل ٤٦ في المئة سنة ١٨٩٦ و ٤٧ في المئة سنة ١٨٩٧ و ٥٨ سنة ١٨٩٨ و ٦٠ سنة ١٨٩٩ . وكانت نفقة المريض في اثناء الاشهر الثلاثة ثمانية فرنكات يوميًّا وهي تشمل ما ينفق على عائلتهِ وهو نحو ثلث المبلغ . وهذا المنهج الذي انتهجتهُ المانيا كان مثالاً لغيرها . فبنت انكلترا وسكوتلندا واوستراليا وكندا بعض المصاحّ . وخصص اهالي الولايات المتحدة اقسامًا من مستشفياتهم بالمسلولين وانشأُوا ثلاثين مصحًّا صغيرًا . وبنت جمعية الاباما مصحًّا للمسجونين ونظارة البحرية مصحًّا آخر للبحَّارة وفي نيويورك الآن ستة مصاحّ . ووهب ملك اسوج المبلغ الذي جمع لهُ في يوبيلهِ وهو ٢٣٠٠٠٠٠ ريال لاجل بناء ثلثة مصاحّ وعين مجلس امتهِ ٨٠٠٠٠٠ ريال لهذه الغاية واعطت الحكومة الارض اللازمة لهذه المصاحّ الثلاثة وشيدت فرنسا عدة مَصَاحٍّ وشعرت كل الامم باهمية هذا الامر الخطير واخذت تقتدي بعضها ببعض في اتمامهِ وسيأْتي وقت لا يترك فيهِ المسلول وشأْنهُ بل يجد اذا كان بعدُ في الدرجة الاولى من مرضهِ انهُ لا يزال لهُ رجاء بواسطة العلاجات والمداواة

واذا كان المسلول قد تجاوز الدرجتين الاوليين حينما يطلب الدخول في المستشفى لا يجوز قطع الامل من شفائهِ بل يقبل ويوضع منفردًا لكي لا ييأس بما يراهُ في رفقائهِ من الالم . وقد اعتني في برمبتون بالف وخمس مئة مسلول مدة عشرين سنة ولم يعدَ منهم طبيبٌ ولا خادمٌ ولا ممرض وهذا الامر شهد بصحتهِ كثيرون من الاطباء الذين يوثق بصدقهم

ايها السادة لما اقترِحَ عليَّ أن اذكر الاساليب التي تذرَّعت بها الامم لمقاومة السل سُئلتُ

ايضاً ان انظر في المسألة من وجهٍ دولي . فلا اظن انهُ يسعنا ان نعامل السل كما عُومل الطاعون والهواء الاصفر والحمّى الصفراوية لمنع دخولهِ الى البلاد . ولا ادري كيف يستطيع احد من الاطباء ان يجزم بان هذا المسافر او ذاك غير مصاب بداء السل . لكنهُ قد يمكننا اتخاذ وسائط عامة من جهة أُخرى وذلك بان تُطهر مركبات سكك الحديد والسفن والفنادق من العدوى حتى يأمن المسافر جراثيمها وهذا من التدابير الدولية وقد ارسل مؤخراً وزير الاشغال العمومية في فرنسا منشوراً الى اصحاب السكك الحديدية يدعوهم الى وجوب التحفظ لمنع خطر العدوى بالسل . وعلى اصحاب الفنادق في بلدان كثيرة ولا سيما في الولايات المتحدة ان يخبروا البلدية بكلّ مسلول نزل عندهم . ويطهروا غرفتهُ عند خروجهِ منها . على ان وزير داخلية المانيا زاد في التشديد بان أوجب على كل طبيب شاهد حادثة من سل الرئة او سل الحنجرة ان يخبر البوليس كتابة حالما ينتهي من تشخيص المرض . وبعد الموت بالسل ينبغي ان تطهر الغرفة التي كان فيها المسلول وكل امتعتهِ . وعلى اصحاب الفنادق والمنازل والملاجئ وغيرها من الاماكن العمومية ان يعلنوا في الحال كل حادثة من هذا النوع تعرض في مساكنهم

وإِخبار الحكومة والتطهير ومراعاة الشروط الصحية في الفنادق والمركبات والبواخر مسائل عامة ينبغي الالتفات اليها من جميع الأُمم . والامر الذي ينبغي ان نستفيدهُ من تضافر كل الامم على مناصبة هذا الداء هو انهُ يجب علينا ان نُعلن في احاديثنا ومطبوعاتنا العمومية ونشراتنا الخصوصية ان السلّ يمكن تجنُّبهُ وان المصاب بهِ يمكن شفاؤُهُ . والوسائط المتخذة الآن لمقاومة هذا الداء الوبيل ستزداد على توالي الايام قوة وانتشاراً ولا تبقى محصورة في ايدي بعض الجمعيات بل يعمُّ الاحتفال بها والتعويل عليها من جميع الحكومات وسائر الشعوب ولنا مذ الآن ان نتنبأ ان العالم المتمدن سيتحد بنفسٍ واحدةٍ ورأيٍ واحدٍ ويتوفَّق اخيراً الى استئصال شأفة هذا البلاء

ايها السادة قلت منذ عشر سنين في مؤتمر الصحة في لندن ما يأتي :

" ان قرناً يستطيع المرءُ ان يكتب في اولهِ اسم جنَّر وفي اخرهِ اسم باستور لحريٌّ بان يسرَّ بهِ نوع الانسان لانهُ تمَّ فيهِ مما يزيل الشقاء والمرض والموت اكثر مما تمَّ في كل عصر من العصور التي تقدمتهُ " . فالفخر للقرن التاسع عشر ولكن القرن الذي ابتدأ حديثاً رأى في سنتهِ الاولى اعظم عملٍ عُمل لاجل الصحة العامَّة . فعسى ان لا نجد في طريقنا ما يعوقنا وعسى الذين يخلفوننا في اواخر القرن العشرين ان يشهدوا بان اتعابنا لم تذهب سدًى وان نتائج مساعينا جاءت وفق مشتهى الامم التي مثلتموها ايها السادة باجتماعكم في هذا المكان لاشرف غاية خطرت على بال انسان

عمران دمشق

تاريخها العصري

ضاعت سيرة احمد باشا الجزَّار البشناقي الذي نفذ حكمهُ في سوريا ٢٨ عاماً واخذ دمشق اربع مرات اولاها سنة ١١٩٨ كما ضاع كثير من الانباء الاخيرة . ومما يؤَرخ من حوادث القرن الثالث عشر حادثة الصدر الاعظم سليم محمد باشا سنة ١٢٤٦ وقد جاء دمشق والياً بعد ان أباد جيش الانكشارية في الاستانة فهمَّ ان يغتال بعض اعيان المدينة وعلمائها لانهم حالوا دون تنفيذ مآرب لهُ من ضرب خراج على عقارات دمشق فجمعهم بحجة دعوة في القلعة ولما احسوا بمكيدتهِ ثار العامة باشاءتهم فضربهم من ابراج القلعة بالقنابل ولما ضاق عليهِ خناق الحصار جاء في بعض رجالهِ الى دارٍ في باب البريد فتأثرهُ العامة وقتلوهُ وحاشيتهُ حرقاً

وبعد مُضي اشهر جاء دمشق ابرهيم باشا بن محمد علي باشا عزيز مصر للانتقام من عبد الله باشا والي عكاء فجعل دمشق عاصمة سورية ومنع الرُّشي والمحاباة وبث قواعد المساواة وابطل المصادرات وقرَّر حقَّ التملك وبسط ظلَّ الامن . وزاد صاحب الروضة الغناء انهُ نشَّط الزراعة والتجارة والصناعة وامر بتعميم تربية دود الحرير ودودة القرمز . واكَّد لي كثيرون ان بعملهِ هذا استعادت اكثر قرى حوران وعجلون وحماة وحمص وغيرها من اصقاع الشام عمرانها الذي كانت فقدتهُ منذ عشرات من السنين . وقرَّب العلماء والشعراء ورخَّص للاجانب في إرسال معتمديهم الى الفيحاء وكانوا يُمنعون من دخولها قبلهُ

غير ان حكمهُ كان مشوباً شأن كل داخل بالسفك والبطش . ومع انصراف وجههِ الى التمهيد مدة مقامهِ وهو تسع سنين شيَّد في بر الشام مباني عظيمة خصوصاً في دمشق تصعب محاكاتها كالمستشفى العسكري وثكن الجند ومستودع البارود وغيرها من المحالّ

ومن رسوم الفتح ان يُخطب باسم الفاتح لكن البعض قد لا يهتمون بذلك كما فعل ابرهيم باشا فانهُ ابقى الخطبة باسم السلطان وعملت انكلترا على جلائهِ طوعاً او كرهاً كما فعلت مع نابوليون بونابرت ايام احتلالهِ مصر وبعض سواحل الشام في القرن الماضي

ومن الحوادث الخطيرة حادثة جرت منذ اربعين سنة ونيِّف بين المسلمين والمسيحيين اختلفت الآراء في اسبابها ويؤَكد بعضهم انها امرٌ دُبِّر بليل عمداً . وكانت جذوة الفتنة تضطرم اولاً في لبنان ووادي التَّيم وجرت حروب اهلية بين المسيحيين والدروز وفتك هؤلاء

بمواطنيهم فتكاً ذريعاً في حاصبيا وراشيا وزحلة ودير القمر ثم سرت شرارتها الى دمشق فقام ارباب الدّعارة من المسلمين وجاء الدروز ايضاً يقتلون وينهبون ويخربون ويحرقون . قال صاحب قطف الزهور فارسلت فرنسا باختيار الدولة العلية ورضاها عشرة آلاف جندي للمحافظة ومنع التعدي عند الاقتضاء وكذلك باقي الدول الفرنجية منها من ارسل مراكب حربية ومنها من ارسل نواباً لاصلاح الحال

وخيَّم جند الفرنسيس في البقاع تسعة اشهر والسفن الاجنبية ظلَّت راسية مدة في ميناء بيروت حتي أعاد فؤاد باشا الامن الى حالهِ وارجع الحكم الى نصابهِ فنفى بعض الاعيان لعدم ممانعتهم الاشقياء والاسافل من وقوع هذا الاختلال وقتل بعضهم رشقاً بالرصاص منهم والي الشام احمد باشا وبعض رؤساء الجند وصلب كثيراً ممن ثبت عليهم الاشتراك في هذا الاثم الكبير

وعُوّض على المنكوبين من مال الدولة والاهلين ولكن لا بالانصاف فاغتنى بعضهم وكان فقيراً وافتقر بعضهم وكان غنياً واصبح الناس شرعاً في الشؤُون الاجتماعيَّة الى غير ذلك من المنافع التي تمخَّضت عنها تلك المضارّ . ولولا ما ابداه الامير الخطير السيد عبد القادر الحسيني الجزائري الشهير وبعض من حذا حذوهُ من عقلاء الدماشقة في حماية المسيحيين لازداد الشرُّ تفاقماً والعقدة ارتباكاً

وممَّن احسن الخدمة من الولاة المتأَخرين في دمشق ضيا باشا الذي ولي الشام اشهراً في خلال سنة ١٢٩٣ وقد اشتهر بحفظهِ للآثار والعاديَّات وبث روح الصدق والاخلاص في قلوب الاهلين وشفقتهِ عليهم شفقة مجردة عن الغرض . ومدحت باشا ذاك الرجل الذي يُردُّ تاريخ العمران في سورية الى عهدهِ فانهُ اسس مدارس ابتدائية واعدادية ومدرسة للصنائع ووسع بعض الطرق وفتح الاسواق واقام الحدائق لنزهة الاهلين وكفاهُ طريق الشوسه بين مدينتيَ طرابلس وحمص الذي أُسس بمال الوطنيين وأُدير بايديهم . وانهُ للوزير المتفضّل على كل من أُنقذ من ظلمة الأُميّة من الشبان وجاء ايضاً مصطفى عاصم باشا المشهور باستقامتهِ وغيرتهِ على الامة والدولة فقام ببعض الآثار الاَّ ان المنية عاجلتهُ بعد ان حكم قرابة سنتين . وكذلك الوالي الحالي حسين ناظم باشا صرف وكدهُ لتشييد البيمارستان ودار المعتوهين في غربي البلد فنجزا في العام الماضي على اجمل وجه ثم بُدئَ بانشاء دار للحكومة لائقة لان الموظفين كانوا حتى اليوم يقيمون في دار هي للسكنى اليق منها بدار حكومة

وكادت تنتهي الثكنة التي بدئَ بانشائها في غربي المدينة منذ مدة وقد كلفت ٦٣

الف ليرة عثمانية عدا جماعات الجند النظامي الذي سُخّر للعمل بها والاحجار الضخمة التي نُسلت من ابراج القلعة القديمة ونُقلت لتُعمر بها

وفي ١٧ تموز (يوليو) سنة ١٨٩٤ نجز ثاني خط حديدي في سورية وهو خط دمشق وحوران طولهُ مائة كيلو متر وفي شهر آب (اغسطس) سنة ١٨٩٥ احتفل بافتتاح خط آخر بين بيروت ودمشق طولهُ ١٤٧ من الكيلو مترات فأُوصل بالأَول . وقد كان يُرجى من هذا المشروع ما يُرجى عادة من قطار البخار اذا انتهب السباسب والقفار . فتكثر المواصلات والاختلاط وتزيد حركة التجارة والزراعة و يتوفر الصادر والوارد الاَّ ان الامر جاء على عكس المبتغى وابى سوءُ بخت هذا القطر والشقاء اليفهُ في كل ادوارهِ ان يؤاتيهُ هذا العصر ايضاً ولو بخط حديدي مُدَّ بيد اجنبية فلم تراعِ الشركة مصالح الركاب والتجار خلافاً للخطة التي تسير عليها سائر الشركات التجارية في البلاد المتمدنة من مراعاة شعائر كل قبيل والقيام على ما يُوفر الراحة والنظر في ما يخفض الاجور . فنفر القوم منها والنفوس من عادتها ان تنفر ممن يستخف بها ولا يحفل بشأْنها

استعملت مركبات للركاب لا تليق الاَّ بالبهائم ولم تبنَ محطات مناسبة واماكن للانتظار وحدّث ما شئت ان تحدث عن محطة البرامكة في ظاهر المدينة وكأَن الشركة احتقرتها فجعلت اقرب محطة منها من احقر محطات العالم . خلِّ عنك معاملة موظفيها للاهلين معاملة يشمئز منها اخسُّ حيوان ناطق

اما من حيث الاقتصاد فقد كان البريد بين دمشق و بيروت اسرع تبادلاً ايام كانت شركة طريق الحوافل بين المدينتين فقد كانت الرسالة تصل في يومين من بيروت الى دمشق وبالعكس اما الآن فيستغرق وصولها اربعة ايام . فضلاً عن أن الطريق بين المدينتين ينسد بالثلوج كل عام مرة او مرتين تدوم المرة زهاء اسبوعين او ثلاثة وتنقطع المواصلات بتة مما لم يحدث من قبل

وكانت الشركة في اول نشأَتها سيّرت قطاراً ليلياً بين بيروت ودمشق ليقل ركاباً وبضائع ويأْخذ البريد فالغتهُ بعد سنة ثم استُرضيت فعينت ثلاث ليال في الاسبوع ثم حنقت من الحكومة المحلية لبعض شؤُونها فابطلت القطار الليلي جملة واكتفت بتسيير ثلاث قطارات في النهار احدها للركاب والاثنان للبضائع تسير في هنيهة متقاربة فتقطع المسافة بين دمشق وبيروت في تسع ساعات على حين ان الحافلة كانت تقطعها في ١٢ ساعة بخيلها و بغالها . واكتفت بتسيير قطار دمشق وحوران ثلاث مرات في الاسبوع على قرب المسافة وسهولة الطريق بخلاف

سكة بيروت فانها في اودية وشعاب وعقاب تشبهُ الاراقم في انسيابها وتلوّيها وزد على ذلك أن هذه السكة لا تُعدُّ من ذات السير السريع بل هي تراموای بخاري وسيرها بطيءٌ ليس إلاَّ

وكانت شركة العربات والحوافل بين دمشق و بيروت تستخدم كثيرًا من ابناء البلاد وتؤَدي اليهم رواتب متناسبة مع اقتدارهم وحسن بلائهم اما الآن فقد اكتفت شركة السكة الحديدية ببعض فتيان من الوطنيين تنقدهم من الدراهم ما يقيهم الجوع فقط واختصت رجالها بالخدمات الرابحة كان عند الشركة الخالية الف بغل وحصان فلو فُرض انها كانت تُطعم الدابة في اليوم نصف مدّ من الشعير يساوي من ثلاثة الى اربعة قروش واحيانًا اكثر من ذلك عدا العلف والتبن والكلأ فكم كانت تستنفد في السنة من هذه الاصناف . وكفى برهانًا على خسارة البلاد من هذا الوجه ان كورة البقاع كاد يسرع اليها الخراب لما سقطت شركة الحوافل لان منها كانت تبيع محصولاتها . وقد بلغت واردات الشركة لعام ١٨٩٩ — ٩٠٤٩٢٧٤ قرشًا اميريًّا وعدد الركاب بين دمشق و بيروت وحوران ١٥٩٣٧٢ نفسًا بزيادة ٨٧٦٥ عن السنة التي قبلها والمنقولات ٩٠ الف طن بزيادة ١٣ الفًا عن العام المنصرم . ولعلَّ الشركة الجديدة التي اخذت على عهدتها ادارة هذه السكة في العام الماضي تسعى في تحسين حالتها فترفع شكواها من الخسارة وشكوى الناس من سوء الادارة

ومنذ امد غير بعيد اشتدَّ اللغط بشأن انشاء سكك حديدية جديدة الاولى من حيفا فدمشق فبغداد فخليج فارس والثانية من دمشق فحماة فحلب والثالثة من دمشق الى مكة . الأَّ ان هذه الاعمال على التغالي بامرها فما فتئت كلامًا في كلام . ومن عادة الشرقيين ان يتظاهروا بالقول و يطنطنوا بهِ حتى اذا حقت كلمة الفعل لبدت عجاجتهم وغاضت مجاجتهم ولكن المستقبل كشَّاف الخفايا يدلُّ على الاقتدار الحقيقي كما يدلُّ على العجز المموّه

يُتبادل البريد الآن بين دمشق والبلاد الشرقية والشمالية وعمالات الولاية مرة في الاسبوع غالبًا مع السعاة . والانتظام معدوم في ادارة البريد والبرق هنا وكم من تحارير فقدت او فتحت ومن رسائل برقية تأَخرت وعُطلت ومن جرائد ومجلات أُحرقت او سرقت

للمجالس البلدية في البلاد المتمدنة شأن واي شأن فاذا قلت البلدية فكأَنك تعني ادارة بيدها حضارة مدينة وغضارتها ممَّا هو على طرفي نقيض عندنا فقد أُنشئت بلدية دمشق منذ نحو ثلاثين سنة فكانت ولا تزال مأْكلة تُسدُّ باموالها النهمات تؤْخذ من الصعاليك مكسًا واختلاسًا بالدانق وتُعطي لمن لا خلاق لهُ بالدنانير . ومنذ عشرين سنة اخذت الدولة للخزانة نصف واردات البلدية ثم احدثت ضريبة تتقاضى من اللحم . وتتراوح واردات البلدية

مسانَاةً بين ١٢ و ١٣ الف ليرة عثمانية هذا اذا تُركت لها اا ٤٥٠٠ ليرة التي تأخذها ادارة الجامع الأُموي

ولئن عُنيت البلدية برصف بعض طرق البلدة وتوسيع بعض شوارعها الاَّ انَّ ما صرفتهُ لا يوازي ما تتقاضاهُ الاهلين . وهي الآن مضطرة الى اداء رواتب للضابطة والشرطة ومشاهرات لبعض المنفيين وغاضة الطرف طوعًا او كرهًا عن القيام بما يجب عليها من الكنس والرش ورفع القاذورات واصلاح الطرق وانارة الاحياء والشوارع الى آخر وظائفها فاصبح مجلسنا البلديّ كما قيل لاهو ميت فيُنسى ولا حيٌّ فيرجى يُذكّر بديوان الحسبة الذي كان يقوم قِدمًا بهذه الاعباء فيفتق الالسن بالترحم على أيَّامهِ

ولعمري لو سُلّمت واردات البلدية الى رجل امين عارف باصول الادارة ذي كفاءة لتنفيذ قانون البلدية قولاً وفعلاً مكفوفة عنهُ ايدي المسيطرين مع رخص موادّ البناء واجور العملة وكثرة المياهِ لاصبحت دمشق في بضع سنين زهرة البلاد العثمانية وربما ضاهت المدن الاوربية بانتظامها وحسن هندامها

غوطتها

قلَّ من يدخل دمشق او يقرأُ عنها شيئًا في الاسفار الاَّ تطرق اذنهُ كلمة "غوطة" وهي الكورة التي عُدَّت من مفاخر هذه الحاضرة قديمًا وحديثًا لخصب ارضها وكثرة مياهها ووفرة متنزهاتها وضياعها . يُروى ان المأمون اقسم وقد نظر يومًا الى اشجارها وبنائها انها خير مغنى على وجهِ الارض وقال عجبت لمن سكن غيرها كيف ينعم مع هذا المنظر الانيق الذي لم يُخلق مثلهُ

قال ياقوت والغوطة من الغايط وهو المطمئن من الارض وجمعهُ غيطان واغوط وقال ابن الاعرابي الغوطة مجتمع النبات وقال ابن شميل الغوطة الوهدة في الارض المطمئنة والغوطة هي الكورة التي منها دمشق استدارتها ثمانية عشر ميلاً يحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ولا سيما من شماليها فان جبالها عالية جدًّا ومياهها خارجة من تلك الجبال وتمدّ في الغوطة في عدة انهر فتسقي بساتينها وزروعها ويصبُّ باقيها في أَجمة هناك وبحيرة . والغوطة كلها اشجار وانهار متصلة قلَّ أن يكون بها مزارع للمستغلات الاَّ في مواضع يسيرة وهي بالاجماع انزهُ بلاد الله واحسنها منظرًا وهي احدى جنان الارض الاربع صُغد سمرقند ونهر الأُبلَّة وشِعب بَوَّان والغوطة أَجلُّها . ويصعب تحديد الغوطة بالتدقيق والغالب ان كل ما يُحيط بالفيحاء من قرى شجراء يدخل تحت هذا الاسم . وذكر صاحب نزهة المشتاق ان طولها مرحلتان في عرض مرحلة وبها ضياع كالمدن مثل المزّة وداريا وحرستة وكوكبا وبلاس وكفر سوسة وبيت الاهو

وبها جامع قريب الشبهِ بجامع دمشق . ومن بابها الغربي وادي البنفسج وطولهُ اثنا عشر ميلاً وعرضهُ ثلثة اميال وكلهُ مغروس باجناس الثمار يشقهُ خمسة انهار – كذا قال ولا يعرف اليوم البنفسج ولا واديهِ

وقال الاصطخري ان عرض الغوطة مرحلة في مرحلتين وروى المقدسي انها تكون مرحلة في مثلها يعجز عن وصفها . وفي رأي شيخ الرَّبوة ان الغوطة هي من حيز دمشق ناحية يكون طولها ثلاثين ميلاً وعرضها خمسة عشر ميلاً مشتبكة القرى والضياع لا تكاد الشمس تقع على ارضها لاختفاق اشجارها والتفاف ازهارها . ولعلَّ ما ورد في شعر وجيهِ الدولة بن حمدان من ذكر الغوطة بلفظ التثنية يُراد بهِ غوطة شرقية وغوطة غربية وهو قولهُ

سقى الله ارض الغوطتين واهلها   فلي بجنوب الغوطتين شجونُ
فما ذكرتها النفس الاَّ استخفَّني   الى برد ماء النَّيْربين حنينُ
وقد كان شكّي للفراق يروعني   فكيف يكون اليوم وهو يقينُ

هذا مختلف اقوال قدماء الجغرافيين في تحديد الغوطة ولم اعثر على كلام للمحدثين في هذا الباب

جبالها

قال احد السياح احسن مناظر سورية ثلاثة جبال جبل الصبر في نابلس وجبل الكرمل في حيفاء وجبل الشيخ المعروف في الكتب القديمة بجبل حرمون ولو انصف لعدَّ ايضاً جبل قاسيون المطل على دمشق وغوطتها الغناء . ولقد كان لهُ في القديم شأن ما برح يتردد ذكرهُ على المدى وفيهِ من القصور والصروح وفي سفحهِ من المتنزهات والجنان ما يكل عن وصفهِ اللسان . وللعامة قصص على مشاهد الجبل لا تزال دائرة على الافواهِ وما هي في الحقيقة الاَّ من قبيل الامور الروحانية واكثرها ان لم اقل كلها لا يثبت تاريخيًّا

ويتسلسل من جبل قاسيون جبل كان يُدعى جبل سَنِير واليوم يقال لهُ جبل قلمون او الحلو. ويؤخذ من عبارة ابي الفداء ان جبل الثلج وجبل لبنان وجبل اللُّكام سلسلة متصلة بعضها ببعض حتى صارت جبلاً ممتدًّا من الجنوب الى الشمال فالطرف الجنوبي لهذا الجبل بالقرب من صفد قال في رسم الارض طرف جبل الثلج يمتد الى الشمال ويتجاوز دمشق ويسمى اذا صار في شماليها جبل سنير وجانبهُ المطلُّ على دمشق قاسيون ويتجاوز دمشق ويمر غربي بعلبك ويسمى الجبل المقابل لبعلبك جبل لبنان واذا تجاوز بعلبك وصار شرقي طرابلس الشام يسمى جبل عكار ثم يمر شمالاً ويتجاوز سمت طرابلس الى حصن الاكراد ويسامت حمص من

غربيها على مسيرة يوم ويمتد ويتجاوز سمت حماة ثم سمت شيزر ثم سمت افامية ويسمى حين ما يكون قبالة هذه البلاد جبل اللكام قال البحتري

وتعمَّدتُ ان تَظَلَّ ركابي   بين لُبنانَ طُلَّعاً والسنيرِ
مشرفات على دمشق وقد اعـــرض منها بياض تلك القصورِ

وعلى ثلاث ساعات من جنوبي دمشق سلسلة جبال تتصل بجبال الشيخ وعجلون وحوران تدعى غالبًا باسماء قراها القريبة منها كأن يقولوا جبل الكسوة وجبل الحرجلة وغيرهما

وسيأتي الكلام على متنزهات دمشق في الجزء التالي   محمد كرد علي

اغنياء اميركا

(١١) اندرو كارنجي

وهو اشهر اغنياء اميركا بلا استثناء لما اتاهُ ويأتيهِ من الاعمال الخيرية وقد آلى على نفسهِ ان ينفع العالم بمالهِ قبل وفاتهِ عوضاً عن ان يتركهُ لابنتهِ وهي وحيدة . ولا حاجة بنا الى ذكر تاريخ حياتهِ فقد ذكرهُ المقتطف في عدد سابق ويكاد القارئ لا يفتح جريدة يومية او شهرية الاَّ يرى لهُ ذكرًا فيها خصوصاً بعد ما وهب مليوني جنيه لمدارس اسكوتلاندا مسقط رأسهِ . وقد قال مرة ان من يموت غنيًّا يموت حقيرًا وبذلك اوضح المسئولية الادبية العظيمة التي على اصحاب الثروة . ويعلم جمهور القراء ان كارنجي ولد فقيرًا وكان في بدء امره ساعيًا في بيت التلغراف ثم تعلم العمل بهِ وما زال يجدُّ ويرتقي من عمل الى آخر حتى صار ملك الصلْب (الفولاذ) في اميركا . يُرْوَى عنهُ انهُ قليل الكلام كثير الافتكار حتى قالت عنهُ احدى السيدات لو اوقفتهُ تحت القبة الزرقاء والسماءُ صافية الاديم وسألتهُ عن لونها لافتكر هنيهة قبل ان يبدي جوابًا

ولكارنجي ولع شديد بثلاثة اشياء كان يعلّل النفس بها وهو فقير وعقد النية على اتمامها عند ما يصير غنيًّا . اولها انشاءُ المكاتب العمومية وذلك لانهُ اعتاد وهو فقير ان يستعير كتبًا من احد المحسنين وكان قد وقف مكتبتهُ للعمَّال فكان يُسَرّ بقراءتها وينتظر يوم السبت بفروغ صبر حتى يستبدل كتابًا قرأَهُ بآخر . وبلغ عدد المكاتب التي انشأَها نحوًا من تسعين مكتبة في مدن متفرقة في سكوتلاندا واميركا وبلغ ما انفقهُ على بعضها نحو مئتي الف جنيه عدا

المكاتب التي اهداها الى مدينة نيويورك وقيمتها فوق المليون جنيه

والشيء الثاني الذي أُولعَ بهِ الموسيقى والثالث محبة الطبيعة وقد طالما حنَّ الى حقول اسكوتلاندا الجميلة وهو يوقد النار في معامل الحديد في اميركا تسع ساعات في اليوم

ويكره ان يُدْعى محسناً ويعتقد ان هذا اللقب لا يُطلق الاَّ على الغنيّ الذي ينفق المال جزافاً اما هو فلا يساعد الاَّ العامل المجتهد وقد قال مرة لا فائدة من مساعدة انسان على الصعود على السلم ان لم يساعد هو نفسهُ فانهُ ان تركتَهُ وقع لا محالة وكانت اخراهُ شرًّا من أُولاهُ . ومن رأيهِ ان مساعدة الناس ينبغي ان تكون بترقية عقولهم لا بالاحسان اليهم وبنصح للشبان ان يغتنموا الفرص ولا يضيعوها وانهُ لا بدَّ للمرء ان تَسنَح الفرص في حياتهِ ولو مرة واحدة فاذا اضاعها قضى على نفسهِ

اما الاموال التي وهبها لعمل الخير ففاقت ما وهبهُ سواهُ الى الآن ولا يزال يهب نحو مليوني جنيه ونصف مليون سنويًّا ويقال انهُ سيعطي خمسة ملايين جنيه لبناء مدرسة صناعية في مدينة بتسبرج وهذا اكبر مبلغ دفعهُ مرة واحدة . واذا جمعنا ما دفعهُ لانشاء المكاتب مما ينيف على المليوني جنيه وما انفقهُ في تأسيس المدارس بلغ نحو احد عشر مليونًا من الجنيهات

وبعد ان مرَّ على زواجهِ عشر سنوات رزقهُ الله ابنة فاخذ الناس يتحدثون بغناها . اما هو فضحك عند ما سألهُ اصحابهُ عن ذلك وقال ان المال انما يجلب السعادة بتمكينهِ ايَّانا من جعل الآخرين سعداء وهذه هي السعادة الحقيقية . وبنى حديثًا قصرًا لابنتهِ لكنهُ صرّح بعزمهِ ان لا يتركها تعيسة تحت وقر الغنى الثقيل

وبين ارباب الثروة كثيرٌ من النساء اللواتي منهنَّ مَن جمعت الثروة بجدها واجتهادها ومنهنَّ من ورثتهُ عن ابيها او كان زوجها حيًّا لكنها استأثرت بالاسم لما اشتهرت بهِ من البذخ والذكاء وحب الشهرة . والنساء في الولايات المتحدة الاميركية يضارعن الرجال في كثير من صفاتهم العقلية والادبية فبينهنَّ الطبيبات والمحاميات والكاتبات وخدَمة الدين حتى ان بعض الولايات اعطتهنَّ حقوق الانتخاب وهي حقوق لم ينلنها في غيرها من البلاد

١٢ مسز كنج

ومن ربَّات الثروة مسز هنريتا كنج واسمها ملكة المواشي . تُوفي زوجها سنة ١٨٨٥ بعد ان اسَّس محلاً في ولاية تكساس لتربية المواشي ولم يترك لزوجتهِ ما يستحق ان يسمَّى ثروةً لكنها اشترت اراضي جديدة وزادت عدد المواشي وسهلت مبيعها . وتقدر مساحة اراضيها بنحو

... ۷۰۰ هكتار او ما ينيف على مليون وخمسمائة الف فدان او نحو ثلاثة عشر مثل مساحة باريس مع ضواحيها والحقيقة انها اكبر من ذلك ولكنها لم تمسح بعد . ومالكة هذه الاراضي مطلقة التصرف فيها وارادتها هي القانون الذي يسير عليهِ مستخدموها وهم يطيعونها كما لو كانت حكومة منظمة . ويصح ان يقال ان حياة مستخدميها تتوقف على مشيئتها لانها لو اخرجت احدهم من خدمتها لقضى جوعاً ولم يجسر احد على استخدامهِ لخوف الناس منها

ومسز كنج الآن في الثانية والخمسين من عمرها ولها في املاكها منزلان فخيمان ولكنها تسكن غالباً قصرها المنيف في مدينة كوريس كريستي. وتظهرُ ثروتها وقت سياحتها في املاكها لكي تتعهدها وذلك مرتين في السنة . احداهما في الربيع لترى حال المواشي والثانية في الخريف لترى ما اعدهُ رجالها لراحة المواشي في الشتاء . ويرافقها في سياحتها هذه كثير من المدعوين الذين يملأُون المئات من المركبات ويحرسهم كثيرٌ من الخفر والرعاة والخدم والحشم وخلافهم. ويبلغ عدد مواشيها ثمانماية الف رأس من البقر ومئة وستين الف راس من الغنم وعشرة آلاف حصان . ويباع من هذه الحيوانات كل سنة نحو ثلاثماية الف رأس بثمن يختلف من ثلاثة ملايين جنيه الى اربعة ملايين

واملاك مسز كنج مقسومة الى اثنتي عشرة مقاطعة لكلٍّ منها حاكم وللجميع مفتش عام . والحكام مطلقو الحرية في مقاطعاتهم فهم يستخدمون العمَّال ويعزلونهم (وهذا نادر) ويدفعون الأُجر ويُديرون الاعمال . وبيت الحاكم في وسط القرية تحيط بهِ بيوت العمال وكلها فسيحة وحولها بيوت الرعاة واسطبلات الخيول . وفي كل قرية مدرسة وكنيسة والعمال لا يدفعون من اجورهم سوى ثمن ثيابهم اما ثمن الاكل والدواء واجرة الطبيب فكل هذه تعطى لهم مجاناً ولذلك تراهم في سعة عيش ورخاء فليس بينهم فقير ولا جانٍ

۱۳ مسز امري

مسز سوسنا امري ملكة الذهب وهي بديعة الجمال لا تتجاوز السابعة والعشرين . تُوفي زوجها منذ سبع سنوات تاركاً لها بعض معادن لم يظن احد حينئذٍ ان لها قيمة تذكر . غير انها لم تلبث ان اجرت جميع الامتحانات اللازمة حتى تبين لها ان الفضة في احدها كافية لتشغيلهِ وقد كان كذلك فربحت منهُ اول سنة نحو خمسة عشر الف جنيه ثم زاد دخلهُ بعد ذلك وهو الآن على ازدياد متواصل . واشترت حديثاً معدناً آخر في مقاطعة غنية بالمعادن فربحت منهُ في السنة الاولى مئتَي الف جنيه وقد عرضت عليها احدى الشركات ابتياعهُ بمليونَي جنيه فلم ترضَ واجمع العارفون انهُ يساوي نحو ثمانية ملايين . ومسز امري بارعة الجمال كما تقدم وطلاب

الزواج يتقاطرون اليها من كل صقع وناد فقد طلبها سنة ١٨٩٨ مئة وثمانية وثلاثون طالباً

١٤ مسز بوتر بالمر

وهي اشهر سيدات الاميركان عند الاوربيين عرفها الاوربيون والشرقيون ايام معرض شيكاغو اذ كانت رئيسة قسم النساء فيهِ وزارت اوربا ومصر وتعرفت بالأُسر المالكة في انكلترا وبلجيكا وايطاليا ثم ارسلها الرئيس مكنلي في العام الماضي الى باريس لتنوب عن نساء الولايات المتحدة الاميركية في المعرض وجاءَت سنة ١٨٩٦ لقضاء الصيف في نيوبورت وهي في ضواحي نيويورك يقصدها "الاربعمائة" في ذلك الفصل واستأْجرت منزلاً صغيراً ومعها ابنة اختها حفيدة الجنرال غرانت الشهير . وكان معها توصيات لاغنياء نيويورك فاضطروا الى دعوتها في اجتماعاتهم العامَّة ولكنهم لم يجاملوها ثم عادت سنة ١٨٩٧ الى نفس المنزل فابتدأ النيويوركيون يتساءلون فيما بينهم من عسى ان تكون وارتأَى بعضهم ان زوجها يدير فندقاً في شيكاغو . وفي السنة التالية استأْجرت قصر هثماير لقضاء الصيف باربعة آلاف جنيه وفي تلك الاثناء قدم ولي عهد بلجيكا ونزل عليها ضيفاً كريماً فقامت نيو بورت وقعدت لذلك وتسابقت السيدات في التزلُّف اليها خصوصاً ان الامير البلجيكي فتن بجمال ابنة اختها وشاع انهُ سيتزوجها فتلبس يوماً تاجاً ملكياً

وبعد سفر البرنس البرت البلجيكي جاءَ الكونت ده تورين ونزل ضيفاً على مسز جون سبنسر ولكنهُ زار مسز بوتر بالمر وهي صديقة امرأَة عمهِ ملكة ايطاليا فاولمت لهُ وليمة لم ترَ نيو بورت اعظم منها ودعت اليها النيويوركيين ومن ذلك الوقت صارت المجلّية في ذلك الميدان ولحقها زوجها الى نيو بورت وهو ابعد الناس عن الاسراف واقربهم الى الدعة

ومدام بالمر فرنسوية الاصل لا تزال طلعتها تنبئُ بما كانت عليهِ في صباها من الجمال وهي ذات بشاشة وحذق وتفنن في اساليب الحديث ولها هيبة ووقار حتى يتصور جليسها انهُ يخاطب ملكة عظيمة الشان تزوجت سنة ١٨٧١ بالمستر بوتر بالمر وكان ذا املاك كثيرة في شيكاغو يبلغ دخلها نحو اربعين الف جنيه . فلما احترقت المدينة احترقت بيوتهُ كلها فساعدتهُ امرأَتهُ حتى جددها وتقدر ثروتهُ الآن بنحو اربعة وعشرين مليون جنيه . ولهُ قصر فخيم في شيكاغو ويبني الآن قصراً في نيويورك لان امرأَتهُ تودُّ الانتظام في سلك "الاربعمائة"

١٥ بنات الصيني اه فونج

قدِم هذا الصيني الى جزيرة هنولولو كفاعل بسيط منذ سنين عديدة وتوصل الى التقرُّب من ملكها فمنحهُ احتكار تجارة الافيون فجمع منها ثروة وافرة وبنى قصراً يفوق اكثر قصور

الملوك . ولا تعرف ثروة هذا الرجل تمام المعرفة ولكن يمكن ان نشير اليها بوجه التقريب فلهُ ثلاث عشرة ابنة وولدان وقد اعطى كلاًّ من اولادهِ وقت الزواج عدة ملايين من الريالات

وكيفية دخول بناتهِ بين اغنياء الاميركان ان الكبرى منهنَّ تزوجت بطبيب اسنان انكليزي وتزوجت اختها الثانية باحد ضباط البحرية الاميركية العظام ومن اشرف عائلات الشارع الخامس في نيو يورك وتزوج بعضهنَّ ببعض اغنياء نيويورك المعدودين والباقيات في حراسة احدى سيدات الشارع الخامس الشهيرات فلا يلبثنَ ان يلاقينَ ازواجًا اغنياء

اما اه فونج فعاد الى الصين ولم يعد يمكنهُ الخروج منها الاَّ بدفع غرامة عظيمة . وكانت امرأتهُ الاولى الصينية لا تزال حية فعاد اليها و بقيت امرأتهُ الثانية في قصرها في هنولولو وقد آلت على نفسها ان لا تخرج منهُ ابدًا

وقد تزوج كثيرٌ من بنات الاميركان ذوات الثروة الطائلة باشراف الاوربيين طمعًا بالقابهم ولو كان بعضهم فقراء وبلغ ما اعطينهُ لأزواجهنَّ الاوربيين نحو اربعين مليون جنيه نال الازواج الفرنساويين منها نحو النصف . ومن اولئك المثريات ابنة فندربلت تزوجت بدوق مارلبرو من اشرف عائلات انكلترا المرتبطة برباط النسب مع العائلة المالكة وبلغ مهرها مليونَي جنيه وابنة جولد تزوجت بالكونت بوني كستلان وهو من اعرق عائلات فرنسا نسبًا ولكنهُ فقير الحال . قيل انهما ذهبا مرة الى حفلة عامَّة وفيما هي سائرة عثرت رجلها واوشكت ان تسقط فنظر اليها مغضبًا وقال لا يليق بالكونتسة كاستلان ان تقع فاجابتهُ لولا دراهم ابنة جولد لم يكن كونت من عائلة كستلان . وكان مهرها نحو ثلاثة ملايين جنيه لكنَّ اباها وضع المال تحت تصرُّف اخيها الاكبر فهو يدفع لكل من اخوتهِ واخواتهِ نصيبهُ من الدخل وعيَّن لها مئة وعشرين الف جنيه سنويًّا اي اربعًا في المائة من نصيبها ورأى حديثًا انها منذ زواجها سنة ١٨٩٥ انفقت دخلها كلهُ ونحو ٨٠٠ الف جنيه فوقهُ فاستصدر حكمًا من محكمة باريس بتعيينهِ قيِّمًا عليها ريثما يتم تصفية ديونها

واغنياء اميركا في قلق دائم من جهة اموالهم فهم يخافون ان يبددها اولادهم من بعدهم ولذا يتخذون الاحتياطات اللازمة لحفظها . والطريقة التي جرى عليها اكثرهم في ذلك هي ان يوصي الواحد منهم بمالهِ لاولادهِ و يشترط الاَّ يقبض كلٌّ منهم الاَّ نصف نصيبهِ يتصرف فيهِ كما يشاء و يبقى النصف الآخر في الشركة التجارية التي كان يديرها ابوهُ ليقبض ريعهُ اما راس المال فلا ياخذهُ الاَّ اولادهُ بعد موتهِ وهكذا تزيد اموالهم وتتضاعف وهم مطمئنون آمنون . وليس ذلك فقط بل انهم يحتالون على الحكومة بطرق شتى ولا يدفعون من الضرائب

الاَّ ما هو دون الطفيف . ولم يقتصر هذا التساهل على الافراد بل تناول الشركات كشركات السكك الحديدية في اسواق نيو يورك فانها لا تدفع شيئاً مع ان صافي ارباحها يبلغ نحو ٩ في المائة

قلنا قبلاً ان سبب ثروة اكثر الاميركيين الذين ذكرناهم توحيد الشركات وهو ما يسمونهُ Trust وكيفية ذلك ان بعض الشركات او الافراد الذين يتاجرون في صنف ما يتفقون على توحيد شركاتهم او ضمّها كلها وجعلها شركة واحدة حتى تقل نفقاتهم ويسهل عليهم تخفيض الاسعار ما امكن فتفلس الشركات المعارضة لهم فيشترون معاملها بارخص الاثمان وبذلك يأمنون مزاحمتها في المستقبل ثم يرفعون الاسعار ويتحكمون بها كما يشاؤُون فترد الاموال الى خزائنهم بالملايين . وتأليف مثل هذه الشركات مخالف للقانون وقد صدرت احكام عديدة بحلها غير ان اصحابها استولوا على زمام السلطة التنفيذية فبقيت تلك الاحكام حبرًا على ورق . ثم انهم يُغيرون اسماء الشركات وهيئة تركيبها حتى تظهر بخلاف ما هي عليهِ ويبقى ضررها كما كان قبلاً بل قد يزيد . ولكي يأمنوا مزاحمة البضائع الخارجية الزموا الحكومة ان تضرب عليها رسوماً فادحة . والحكومة الحالية في يدهم يديرونها حسب اهوائهم وقد انفقوا الملايين من الجنيهات لانتخاب ماكنلي لهذا الغرض

ولا تقتصر شركة على التجارة المختصة بها بل تعمل كل ما ينبغي لنجاح تلك التجارة مثال ذلك ان شركة الزيت تمتلك كثيرًا من السكك الحديدية والوابورات فتنقل زيتها بنفقة قليلة ولكنها تقتضي اجرة باهظة من بقية الشركات ولذا افلس اكثرها

هذه نزر من اخبار اولئك الاغنياء ولا بدَّ ان نراهم بعد قليل في المشرق اذا استمروا على خطةُ الهجوم التي اتخذوها حديثاً . وعسى ان نطرح جشعهم الشديد جانباً ونأخذ عنهم الثبات والاجتهاد وغيرهما من الصفات اللازمة للنجاح

نسيم برباري

رواية امينة

الفصل الحادي عشر

وصلت البلد الذي كنت قاصدةً اليهِ بعد سفر ايام برًّا وبحرًا وكان سفر البر اشدَّهما تعباً اضعت فيهِ رشدي وبقية جلَدي وكيف لا اضيعهما وقد مرَّ عليَّ اسبوعان وانا على ظهر بغل يصعّد بي ويصوّب . وصلت البلد ونزلت في الخان وذهب سليم آغا الى سراي الحكومة

ليقدم الجواز الذي معنا ولم اكد اصل حتى استلقيتُ على سرير صغير لا استطيع الحراك من شدَّة التعب وخطر ببالي انهُ لا بد لي من ان اغسل وجهي واغير ثيابي قبلما اقابل ابنة نصرالله باشا ولكنني كنت متعبة جدًّا لا استطيع الوقوف . وكثيرًا ما خطر ببالي وانا في اثناء الطريق ان اطرح نفسي عن البغل وابقى على الارض الى ان اقضي نحبي . وغاية ما كنت اهتم بهِ ان امنع نفسي عن هذا الجنون . ولما كنت مستلقية في الخان خطر ببالي ان هذا التعب لا بدَّ من ان يصرم حبلِ حياتي وقلت في نفسي لعلَّ ذلك خير لي . وبينما انا افكر في هذا فُتح الباب ووقف فيهِ سليم آغا وبيدهِ ساعة من الذهب وهو يقول لقد ذهبت واخبرت الباشا بوصولكِ فسرَّ بذلك وانعم عليَّ بهذه الساعة لاني اوصلتكِ سالمةً وهوذا مركبتهُ عند الباب لتأخذكِ الى قصرهِ وستأتي عربة وتنقل امتعتكِ فقومي وانزلي معي

فقمت ونزلت معهُ واذا بمركبة فاخرة وجوادين مطهمين فصعدت الى المركبة وصعد سليم اغا وجلس بجانب السائق فسارت بنا تنهب الارض نهبًا ولم يكن الاَّ دقائق قليلة حتى وصلت الى باب القصر ففتحت عينيَّ لانني كنت قد اغمضتهما في اثناء الطريق من شدَّة التعب واذا انا بساحة فسيحة وامامي ممشًى طويل فيهِ الخصيان وقوف على جانبيهِ . وتقدَّم واحد منهم وفتح باب المركبة وانزلني منها ثم التفتُّ حولي واذا امامي جماعة من الارناءوط وهم بالسلاح الكامل ينظرون اليَّ باسمين فاسرعت وراء الخصي الى الممشى وسرت فيهِ وراءهُ الى ان وصلنا الى باب كبير يفتح الى حديقة غنّاء في وسطها قصر صغير . فقال لي الخصي هذا مسكن الباشا وهو يقيم هنا واما بقية العائلة فتسكن في قصر ثانٍ على الجانب الآخر من الساحة وهنا تسكن سنية هانم واما السلاملك فعلى الجانب الآخر

فنظرت الى القصر واذا هو في وسط حديقة وامامهُ رواق يغطيهِ اللبلاب والورد المعترش ولم اكد اتقدَّم حتى رأيت سيدة نهضت واقبلت اليَّ وهي طويلة القامة مهيبة المنظر لا يلمح الانسان عينيها السوداوين لمحة حتى يقول انها اخت ادهم بك . ولما دنت مني نادتني باسمي ورحَّبت بي . فاغرورقت عيناي بالدموع والظاهر انها رأت انفعالي فلم تقُل كلمة أُخرى لئلاَّ يراني الجواري على تلك الحال بل ضمتني الى صدرها واخذت تقبلني وسارت بي الى دار كبيرة ومنها الى غرفة صغيرة فادخلتني ووقفت تنظر في وجهي فرأيت امامي طلعةً بهية ووجهًا اسمر جميلاً وفمًا عليهِ هيئة العظمة وجهًا كوجه ادهم بك تمامًا وكوجه الهانم امهما فانهما ورثا منها هذه الطلعة البهية ولكنهما لم يرثا كبرها وانفتها فالناظر اليها يخاف ويضطرب واما الناظر اليهما فيسرّ ويطمئن

ثم تبسَّمت وقالت ما انحف هذه القامة كأَنهُ مضى عليكِ شهر صائمة لقد احسن ادهم بارسالك الى هنا . تعالي وانزعي فرجيتك واستحمي فان الماء سخن في الحمام ولكن اخبريني قبل ذلك كيف ابي الم تريهِ يوم سفركِ

وكان في صوتها ما يدلُّ على شوقها الى ابيها وحبها لهُ . واستغربتُ اولاً انها سألت عن ابيها ولم تسأل عن أُمها ولكن خطر ببالي حينئذٍ ان اولاد هانم افندي يخافونها اكثر مما يحبونها . فقلت لها بخير وسلامة وقد رأَيتهُ قبل سفري بثلاثة ايام

فقالت وا ابتاه وا اماه وا اختاه ست عشر سنة لم ارَ احداً منهم . ثم نظرت اليَّ وقالت ولكن ليس من العدل ان اوقفك الآن واسأَلك مثل هذه المسائل وانت محتاجة الى الراحة . وصفَّقت بيديها ونادت جارية اسمها ميالي وقالت لها خذي امينة الى الحمَّام ثم قالت لي ولا بدَّ لكِ بعد ذلك من ان تنامي قليلاً لان عليك علامات التعب الشديد

فشكرت فضلها وتبعت الجارية وقبل ان اصل الى الباب دار رأْسي فمددت يديَّ لاستند على شيءٍ وسقطت الى الوراء وأُغمي عليَّ

الفصل الثاني عشر

ذهب الصيف وجاء الخريف وعصفت الرياح عصفاً شديداً في السهول التي حول هذه المدينة واخذت الغيوم تتراكم فوق الجبال ودنت الشمس من المغيب كأَنها في اتون من نار والدلائل كلها تدلُّ على ان زوبعة على الابواب ولا بدَّ من عصفها ذلك الليل . وكنت واقفة في الرواق ارى الاوراق تتناثر والاشجار تتمايل من شدة الريح حتى تكاد اغصانها تلثم الثرى واخذت العصافير تتسابق الى سنديانة كبيرة امامي وكان الى جانبها سروة طويلة وهي تنحني وترتدُّ مراراً في الدقيقة ولما وقع نظري عليها ذكرتني باسطانبول وجامع ايوب سلطان وكأَني رأَيتُ نافذ بك واقفاً امامي مغضباً ينتهرني لاني كلمت داود . ثم وقعت على رأْسي ورقة ورد فردَّت افكاري من عالم الخيال وقلت في نفسي عصفت الرياح او هجعت وهطلت الامطار او انحبست سيَّان عندي ما دامت حياتي كلها قفراً اجرد لا مسرَّة فيهِ ولا بهجة

مضى عليَّ هنا شهران وهذا اول يوم سُمح لي فيهِ ان اخرج من غرفتي وقد مرَّت عليَّ ايام كثيرة بعد ما أُغمي عليَّ وانا اغالب الموت واود ان يغلبني ولكن لكل اجل كتاب . ولم ارَ من اهل هذا البيت غير الحنو والدعة وقد سهرتْ عليَّ سنية هانم كاني ابنتها ولمَّا رأَيت حبها وحنوها وصبرها شعرت بحب لها يفوق الوصف ورأَيت بين جانبَي ذلك الجسم المهيب الطلعة قلباً شفوقاً مفعمًا بالحب رغمًا عما كنت آراهُ في وجهها من امارات الغم والكآبة

وبينما انا افكر في ذلك سمعتُ صوتها الحنون يناديني قائلاً ادخلي يا بنتي فقد برد الهواء ولم تمتلكي صحتكِ حتى الآن فدرت ودخلت وراءها الى غرفة فيها منقل كبير يدفئها فجلست على سجادة قريبة منهُ وجلست هي على الديوان امامي وقالت لي انكِ لم ترَي زوجي حتى الآن ولا الاولاد . ثم ضحكت قائلة اني لا ارى كيف يرسلونكِ لتعتني بالاولاد وانتِ احوج منهم الى من يعتني بكِ فتبسمتُ قليلاً لانني لم اكن اعلم كم اخبرها ادهم بك من قصتي ولا كم افشيتُ من سري وانا مريضة وفي حال البحران اما هي فقالت اوّاهُ على ادهم اظن انهُ تغيَّر كثيراً ونافذ ذلك الولد الطائش نعم كان ولداً لما فارقتهُ ومن اكثر الاولاد طيشاً واشدهم نزقاً وقد اتلفتهُ امي بتدليلها لهُ فكان يقع كل يوم في ورطة يتعذَّر علينا تخليصهُ منها قبلما يعلم ابي . يصعب عليَّ ان اراهُ رجلاً والظاهر انهُ لم يزل في اطوارهِ كما كان على ما كتب لي ادهم

ولما قالت ذلك علتني حمرة الخجل والتفتُّ اليها فرأيتها تنظر اليَّ باسمةً وعيناها تدلأن على انها تقصد المزاح معي فزاد خجلي واضطرابي فقالت لي اتظنين ان ادهم يخفي عني شيئاً نعم اخبرني بكل شيءٍ يا حبيبتي ولا افهم لماذا اقلقوا الدنيا ماذا يمنع نافذاً من الاقتران بكِ . ولكن ما دامت امي غير راضية فالامر ضرب من المحال اما انتِ فقد احسنتِ بعملكِ ولابدَّ من ان الامر كان صعباً عليكِ وهو صعب ايضاً على اخي المسكين

فقمت وجلست بجانبها والقيت رأسي على ركبتها وقلت لها ولكن هذا هو الاصلح لهُ فان الذهاب الى اليمن ليس بالامر السهل

فقالت نعم الحق في يدكِ ولا احب ان اسمع ان نافذاً غاظ ابي ولا اعرف اخلاقهُ الآن حتى احكم عليهِ او لهُ ولكن اذا كان صادقاً في حبهِ لكِ فهو يستحق منكِ احسن من هذهِ المعاملة ولكن ادهم اشار عليكِ ان تفعلي ذلك وادهم رجل حكيم متأنٍّ وهو يعرف الاحوال اكثر مني ومنكِ . اسمعي اظن ان واحداً آتٍ الى هنا هذا صوت ابنة حميَّ اظنها آتية بالاولاد من البيت الكبير

فالتفتُّ وانا اقول في نفسي كم ابنة حمٍ لها وهل هذه هي الابنة التي يراد اعطاؤُها لنافذ بك ونظرت اليها مليًّا وهي تسلم على سنية هانم فرأيتها فتاة طويلة القامة بدينة الجسم جميلة الوجه شعرها اشقر طويل غزير وعيناها كبيرتان لوزيتان وفمها صغير ولكن شفتها العليا بارزة قليلاً وحركاتها وسكناتها تدل على تمام اللباقة والدلال فهي جميلة فتَّانة . ولما كنت انظر اليها واعجب من جمال طلعتها نظرتْ اليَّ وقالت أهذه هي البنت التي اتت من اسطانبول

فنظرت اليَّ سنية هانم باسمةً وقالت نعم هذه امينة وقد كانت مريضة كل هذه المدة

فحنت ابنة حميها رأسها قليلاً وجلست على الديوان بجانبها ولم تعُد تلتفت اليَّ بل قالت لسنية هانم اسكتي فقد هلكنا من التعب والنزاع واتيت بالاولاد الى هنا لاخرج من البيت بحجتهم . وكان في صوتها خنَّة قليلة كانها تتكلم من انفها

فقالت سنية هانم واين هم الآن لاني احب ان تريهم يا امينة . قالت ذلك ملتفتةً اليَّ

ودخل رجل حينئذٍ فنهضتْ لهُ سنية هانم وابنة حميها ونهضت انا ايضاً وقلت في نفسي هذا عزَّت باشا فجلس والتفت اليَّ وقال بتودُّد أهذه امينة . الحمد لله على السلامة يا بنتي لقد شغلتِ بالنا ولا تزالين نحيفة فتقدَّمت وقبَّلت يدهُ فلم يقل شيئاً بل تناول جريدة كانت هناك واخذ يقرأُ فيها ودخل حينئذٍ ثلاثة اولاد صبيَّان وابنة عمرُ الكبير سبع سنوات والصغير ثلاث فتقدموا الى ابيهم اولاً وباسوا يدهُ ثم مضوا الى امهم واتكأُوا عليها فالتفتت اليَّ وقالت هؤُلاء هم الاولاد هذا ادهم وهذا يوسف وهذه ظِبي . فتقدمتُ منهم وركعت بجانبهم وجعلت اتودَّد اليهم والظاهر انهم كانوا خائفين من ابيهم فلم يكلموني وقد استغربت ذلك لانهُ لم يظهر على عزَّت باشا انهُ كان صارماً ولكن اختهُ واولادهُ كانوا يخافونهُ ولم يكن احد يجسر على الكلام معهُ الاَّ امرأَتهُ فنظر الى اختهِ وقال لها اجلسي يا عطية كيف امكِ فانها كانت منحرفة الصحَّة امس

فقالت لهُ هي احسن الآن وجلست ثم قالت أَلم تدخل الحريم اليوم وكأَنها كانت تفتش عن موضوع تحدثهُ بهِ فلم تجد غير هذا

فقال لا لاني كنت مشغولاً . وانتظرَ دقيقة ليرى هل يريد احد ان يكلمهُ ثم عاد الى القراءة في الجريدة

فقالت عطية هانم بصوت منخفض سكنت الريح الآن والاحسن لي ان اذهب

فقالت لها سنية اخاف ان تمطر السماءُ فابقي عندنا الليلة

فالتفت عزَّت باشا وقال ماذا تقولين . فقالت اني اطلب من عطية ان تبقى عندنا الليلة فان السماء متهيئة للمطر

فقال لا خوف من المطر ولكن اذا ارادت ان تبقى فلتبقَ . اتريدين ان تبقي هنا يا عطية

فقالت كيف لا اريد ومَن لا يريد ان يبقى عندكم

فهزَّ كتفيهِ ولم يجبها بشيءٍ بل عاد الى قراءة الجريدة

وقالت لي سنية هانم كيف انتِ والاولاد اتحبين الاولاد . فقلت نعم احب الاولاد كثيراً وقد كنت متعلقة باولاد ادهم بك واولاد علي بك وكانوا متعلقين بي

فقال عزت باشا ومن هو علي بك هذا

فقلت هو زوج وحيدة هانم

فقال اظنهُ من الشراكسة

ولما اجبتهُ بالايجاب طرح الجريدة من يدهِ وقال تعالي الى هنا واخبريني عن نصرالله باشا واهل بيتهِ هل ادهم في الحكومة الآن

فدنوت منهُ واجبتهُ عن مسائل كثيرة فانهُ سأَلني عن كل واحد وجلست سنية هانم على كرسي امامنا تعترض بمسأَلة هنا وهناك وكانت العاصفة قد اشتدَّت وكادت تقتلع الاشجار فتطلَّع من الشباك قليلاً ثم التفت الى زوجتهِ وقال ما الحيلة حتى نعود الى اسطانبول نعم ان مركز الوالي غير قليل ولكن لا شيءَ مثل اسطانبول أَلا تودين الرجوع اليها يا هانم

فتبسمت زوجتهُ وبشَّ وجهها وظهر كأَن ما يبدو عليهِ من الكآبة لم يكن سببهُ زوجها بل كان لهُ سبب آخر وقالت نعم اني اود مرارًا ان اعود اليها ولكني لا احب ان اعود وحدي فان كنت تعود معي فذلك غاية ما اتمنَّاهُ

فسرَّ بكلامهما وبرقت اسرَّتهُ وقال نعم ما احلى ذلك ولم يخطر ببالي ان تطول غيبتنا بهذا المقدار لما ودَّعناهم — لما ودعنا نصرالله باشا وادهمًا في القارب وودعنا نافذًا ايضًا . والتفت اليَّ وقال ماذا يعمل نافذ الآن . وقبل ان اجيبهُ قالت سنية هانم هوذا ابرهيم ما اتي بهِ في هذه العاصفة . وفُتح الباب ودخل منهُ فتى مبتلّ الثياب من المطر ووقف امام عزَّت باشا . فقال لهُ مالك فقال بصوت منخفض لا شيءَ ولكن اتى رجل معهُ مكاتيب فظننت انها ضرورية واتيتكم بها . فقال عزت باشا لماذا لم ترسلها مع خادم . ودار الولد ليعود من حيث اتى فاشارت اليهِ سنية هانم ليبقى وقالت لهُ كيف تمضي وانت مبتل ابقَ هنا وتعشَّ معنا واذا لم تصحُ السماءُ تنام هنا

فقال عزَّت باشا وما ضرَّهُ لو تبلَّل اذا اراد ان يتعشَّى هنا فليتعشَّ ولكن الذهاب الى البيت خير لهُ والمطر لا يضرُّهُ

فوقف الفتى وسلَّم بيدهِ علامة الطاعة ونظرتُ اليهِ وقد حركتني الشفقة عليهِ وكان في وجههِ آثار الجدري عيناهُ صغيرتان واذناهُ كبيرتان وشفتاهُ غليظتان ولكنهُ لم يكن قبيح المنظر وكأَنَّ سنيَّة هانم اشفقت عليهِ فأَومأَت اليهِ ان يتبعها فتبعها وسأَلهُ عزت باشا قائلاً كيف ابي ولما لم يسمع مجيبًا التفت وقال اين ابرهيم فقالت عطية هانم خرج فهل ادعوهُ فقال لا . ثم قال لها هل رأَيتِ أَبي اليوم

فقالت نعم وحالتهُ اردأُ كثيرًا . فتنهَّد ولم يقل شيئًا

وكان الجواري قد اخبرنني ان حافظ باشا ابا عزت باشا مصاب بالفالج وبدخَل في عقلهِ وان الاشغال كلها أُحيلت على عزت باشا . وان لحافظ باشا ستة عشر ولدًا وتسع نساءٍ ولكن امرأَتهُ الاولى ام عزت باشا ماتت ولم يعطِ السيادة لواحدة من نسائهِ بعدها فاصبح بيتهُ فوضى لا آمر فيهِ ولا ناهي او كل واحد يأمر وينهى كما يشاءُ هذا اذا غاب عزت باشا واما في حضورهِ فالكل يخشون بأْسهُ

وعادت سنية هانم حينئذٍ ومعها الفتى ابراهيم وقد مسح ثيابهُ من المطر . ودُعينا حينئذٍ الى العشاء فقال عزت باشا لزوجتهِ ان امينة تجلس معنا على المائدة . فقالت نعم بلا شك واردت ان اعتذر فامسكتني بيدها وقبَّلتني وقالت لي انتِ واحدة منا ولا تحسبي ان ليس فينا احد حسن الذوق غير زوجي

الفصل الثالث عشر

مضى الشتاء واقبل الربيع واكتست الاشجار باوراقها وتفتحت ثغور الازهار وقلَّ عصف الرياح بعد ان توالى كل فصل الشتاء

مضى عليَّ الآن عشرة شهور منذ اتيت الى هذا المكان وقد عرفت كل اهل البيت رجالاً ونساء وسمعتهم يتخاصمون و يغتاب بعضهم بعضاً . ورأيتهم يتملَّقون سنية هانم من كبيرهم الى صغيرهم ولم استغرب حينما سمعت انهم كلهم يكرهونها لانها الشخص الوحيد المسموع الكلمة عند عزَّت باشا . وقد عذرت عزَّت باشا على ما يُرى منهُ من القسوة بعد ما رأَيت من اخوتهِ ونساء ابيهِ من فساد الاخلاق وقلة العقل ورأيت ان رجلاً مثلهُ لا يطيق السكنى في ذلك البيت ولم اعد استغرب ما كنت اراهُ على وجه سنية هانم من دلائل الغم لان الفرق شاسع بين هذا البيت وبيت ابيها من كل وجه

وكنت يوماً جالسة مع سنية هانم وعطية هانم تحت السنديانة اخيط بطانة سلة لكلب صغير أُتيت بهِ ظبي فاتي سعيد بك وحسين بك اخوا عزَّت باشا فانحنيت فوق شغلي ولم التفت اليهما لان احدهما حسين بك كان على جانب عظيم من الوقاحة وقلَّة الادب وكان يُظهر لي التودُّد كلما رآني اما انا فكان قلبي ينفر منهُ . فجلسا معنا ولو لم تكن سنية هانم هناك لقمت وانصرفت لانني كنت اخاف منهُ ولكنني اعلم انهُ لا يجسر ان يكلمني في حضرتها . وكان اخوهُ علي بك اودع منهُ واكثر تأَدُّبًا وهو شاب عمرهُ نحو عشرين سنة ولا ادري ممَّن تعلَّم التأَدب فقال لامرأة اخيهِ ان عزَّت باشا ارسلني اليكِ بهذا المكتوب وقال انهُ اتتهُ اخبار من

اسطانبول وانهُ سيأتي الى هنا حالما تسمح لهُ اشغالهُ

فاخذتْ المكتوب وفضَّتهُ ورمتْ ظرفهُ فنظرتُ واذا عليهِ خط نافذ بك . والمكتوب طويل وامتُقع وجهها وهي تقرأُهُ ولما اتمَّت قراءتهُ قامت لتدخل البيت واشارت اليَّ لاتبعها فقمتُ وتبعتها وانا اخشى ان يكون فيهِ اخبار سوء من بيت ابيها ولما وصلنا الى غرفة الاستقبال قالت لي الاخبار من البيت لا تسركِ هذا المكتوب من نافذ وقد كتب طالبًا خطبة عطية

فوقفتُ صامتة مبهوتةً كأَنَّ صاعقة انقضَّت عليَّ وقد قدَّرتُ لامتقاع وجهها الف تقدير ولكن لم يخطر ببالي هذا الخاطر ولا كنتُ احسب ان كاس مصائبي يضاف اليها زواجهُ بامرأة أُخرى

اما هي فقالت ان مكتوبهُ حسن جدًّا والظاهر انهُ مُكرَهٌ على الزواج اسمعي ما يقول "ان ابي وامي يحسبان ان لا نجاة لي الاَّ بالزواج حالاً وانا لا ابالي بما يصيبني لو خالفتهما ولكنني اودُّ ان اجد امرأَة فاضلة اقدر انَ احبها واعيش معها بالراحة والسلامة وتستطيع ان تنزع هذا الطيش مني . وقد كتبتِ اليَّ مرةً عن عطية ولثقتي بانكِ تعرفينها جيدًا عزمت ان اعمل بقولكِ وقد كتب ابي الى عزت باشا الآن فاذا اجاب طلبهُ اكون عندكم بعد شهر من الزمان . ولا تنسي ان اجازتي لا تزيد على شهر او شهرين فاعدوا كل شيء لازم حتى لا اغيب طويلاً . انكِ لا تعرفينني ايتها العزيزة ولكنكِ تعرفين بقية اهل البيت وهذا كافٍ ليقنعكِ ان امرأة اخيكِ تجد ما يسرُّها فيهِ اما انا فمغتاظ جدًّا من هذه الاحوال ولكني ما كنت لاظهر غيظي في امرأتي"

وليس هذه الكتابة ممَّا اعهدهُ فيهِ ولكن تأَنّيهُ فيها حرَّك عواطفي لانني رأَيت انهُ اكره نفسهُ على الزواج ليسلوني وكنت اعلم ان اللوم كلهُ عليَّ لا عليهِ ولكنني لم استطع ان اخفي كدري

وقالت سنية هانم بعد ذلك انهُ اخبرها بسفرهِ الى اوربا وان ادهم مضى الى الروملي بعائلتهِ ولا يُنتظر ان يعود الى اسطانبول قبل ثلاث سنوات . ثم قالت اني لا احب ان آخذ على نفسي هذه المسؤلية لانني لمَّا كتبت الى ادهم عن عطية لم اكن اعرفها كما اعرفها الآن . ونافذ يفتش عن امرأَة يستطيع ان يحبها ويحترمها وهذه لا شيء فيها يحَبُّ ولا شيء فيها يستحق الاحترام ومع ذلك لا اعرف عليها عيبًا يشينها سوى انها مغرورة بنفسها ثم انهُ لم يعد نصحهُ في الامكان، لانهُ طلبها من ابيها رسميًّا

فقلت لها كلاَّ . قلتُ ذلك على غير ارادتي . ثم قلت ولكنهُ اذا اتى الى هنا يراني حتمًا فماذا افعل والى اين امضي

فقالت الامر هين وابي يعلم اني استطيع ان ادبرهُ فانكِ تمضين الى البيت الآخر وتبقين هناك وهو لا يستطيع ان يدخل بيت حافظ باشا قبلما يتزوج بابنتهِ . قالت ذلك ونظرت اليَّ بحنوٍ والدي ووضعت يدها حول خصري والقت رأسي على كتفها وقالت الله يعلم اني كنتُ اود من صميم قلبي ان تكوني انتِ زوجتهُ . ولكن لا سبيل الى ذلك لاني كتبت الى ادهم بعد مجيئكِ الى هنا اسأَلهُ ان يبذل جهدهُ في اقناع ابي وامي فاجابني ان ذلك ضرب من المحال

فلم اقل شيئًا وشعرت كأَني كدت أُعدَم التنفس واتفق حينئذٍ اننا سمعنا صوت عزَّت باشا آتيًا فسررت لانني استطعت ان اسرع الى غرفتي واغسل كآبتي بدموع عيني . ولم يكن عندي اقل شبهة في ان عزَّت باشا يقبل طلب نافذ بك لانهُ كان يعلم مقام نصرالله باشا وهو نفسهُ انتفع كثيرًا بمصاهرتهِ . وعطية من عائلة كريمة وهي تستحق مثل هذا الرجل . وقد حاولت ان اقنع نفسي بان ما جرى هو الاصلح وبانهُ لا حق لي ان اعتب على رجل رفضت الاقتران بهِ اذا اقترن بغيري ولكنني لم استطع ذلك بل اخذتني الغيرة حتى كادت تعمي بصري

ستأْتي البقية

شعر العرب وتاريخهم

[المقتطف اطلعنا علي رسالة انشأَها حضرة الكاتب الذكي امين افندي ظاهر خيرالله وجمع فيها تاريخ عمران العرب من اشعارهم وقد قرأَ لاجلها مئات من الدواوين وتصفح الوفًا من الصحف وسنطرف قراء المقتطف ببعض فصولها الى ان يتسنىَّ لهُ نشرها في كتاب على حدة وقد اخترنا منها الآن الفصول التالية]

ملابس العرب

كان لباسهم قميصًا وثوبين قال عروة بن حزام

اغرَّكما مني قميصٌ لبستهُ   جديدًا وبردا يمنة زهيانِ

وقد ذكر الثوبين كثارٌ من الشعراء قال امرءُ القيس الكندي

وأَقبلتُ زحفًا على الركبتينِ   فثوبًا لبستُ وثوبًا اجرْ

وقال ذو الاصبع العدواني

قتلنا منهمُ كلَّ   فتى ابيضَ حسَّانا
يُرى يرفلُ في بردي   هِ من ابراد نجرانا

وكانوا في ايام الشتاء يتدثرون بالملابس الكثيرة وفي ايام القيظ يكتفون بخفيف الكسوة قال الربيع بن ضبع الفزاري

اذا كان الشتاء فادفئوني   فان الشيخ يهدمهُ الشتاء
فامَّا حين يذهب كلُّ قرّ   فسربال خفيف او رداء

وكانوا لدى النوم ينضون ثيابهم الاَّ ثوبًا يسمونهُ الفضل وذلك واضح من قول امرىء القيس في معلقتهِ

فجئتُ وقد نضَّت لنوم ثيابها   لدى الستر الاَّ لبسة المتفضّلِ

وامَّا ما كانوا يتخذون منهُ ملابسهم فالحرير قال المنخل اليشكري

الكاعب الحسناء تر   فل في الدمقس وفي الحريرِ

والخز قال عمر بن ربيعة القرشي

فقامت اليها حرَّتان عليهما   كساءان من خز دمقسٍ واخضرِ

والسندس والديباج قال اميَّة بن ابي الصلت

عليهم سندس وجياد ريطٍ   وديباج جرى منهم فتومُ
وتحتهمُ نمارق من دمقسٍ   ولا احدٌ يرى منهم سقيمُ

والاضريج قال النابغة الذبياني

يحييهم البيض الولائد بينهم   واكسية الاضريج فوق المشاجبِ

والبوصي قال الحطيئة

وهند اتى من دونها ذو غواربٍ   يقمّص بالبوصيّ معرورف وردُ

وهذه الانواع كلها من الحرير وهذا دليل تفنُّن العرب في النوع الواحد منها . والكتَّان قال زهير بن ابي سلمى المزني

ليأتينَّك مني منطق قذع   باقٍ كما دنَّس القبطية الودكُ

والقبطية ثياب من كتان تستجلب من مصر . وقال رؤبة بن العجاج

بل بلدٍ ملء الفجاج قتمُهُ   لا يُشترى كتانُه وجهرمُهُ

والجهرم ثياب من كتان يُؤتى بها من جهرم وهي بلد بفارس . وفي هذين الشاهدين دليل اتصال التجارة بين العرب والفرس والمصريين . وقد استعملوا الصوف بدليل قول المعاجم ان الخزّ خليط من صوف وحرير و بدليل اوضح وهو ان مَن عرف الحرير والكتان لا وجه للريب بانهُ عرف الصوف لانهُ اسهل عملاً وارخص ثمنًا واغزر وجودًا ولا سيما عند العرب الذين

ذهبوا في التفنن بالملابس كل مذهب حتي طرزوا ثيابهم بالذهب قال سلمى بن ربيعة

والبيض يرفلنَ كالدُّمى   في الريطِ والذهب المصونِ

وقد عرفوا المسوح (ثياب من شعر) قال مضرّس بن ربعي الاسدي

كأنَّ لنا منهُ بيوتًا حصينة   مسوحًا اعاليها وساجًا كسورُها

وكانت نساءُ العرب اذا خرجنَ من بيوتهنَّ لزيارة لبسنَ فوق الثياب ازارًا ذا اهداب ربما كان منقوشًا عليهِ رسوم قال امرؤُ القيس الكندي

كأَن دُمي شغف على ظهر مرمرٍ   كسا مربذ الساجوم وشيًا مصوَّرًا

وقال ايضًا

خرجتُ بها امشي تجرُّ وراءنا   على اثرينا ذيلَ مرطٍ مرحَّلِ

والمرط الازار والمرحل الذي عليهِ صوَر الرحال . وقد كان المرط طويلاً حتى كان يمحو آثار اقدامهم فتأمل

واما الشيوخ فكانوا يتخذون الفراء كسوة في ايام القرّ قال النابغة الذبياني "جلوس الشيوخ في ثياب المرانبِ" والثوب المرنباني هو المتخذ من جلد الارنب

وكانت الحسان يعمدنَ الى اخلاء اعلى الصدر ليظهر بياض الجسد للعيون قال طرفة بن العبد البكري

نداماي بيض كالنجوم وقينةٌ   تروح علينا بين بردٍ ومُجسَدِ

رحيب قطاب الجيبِ منها رفيقة   بجس الندامى بضَّة المتجرَّدِ

وقطاب الجيب مجتمعهُ حيث قُطِب اي جُمع وهو مخرج الرأس من الثوب والرحيب الواسع وانما وصف قطاب الجيب بالسعة ليبدو صدرها فينظر اليهِ . وكنَّ ايضًا يفتقنَ فتيقًا في الكم الى الابط قال الاعشى ميمون "لجسّ الندامى في يد الدرع مفتقُ". واما ذيل الثوب فقد جاء في ارسالهِ حتى الكعب قول النابغة الذبياني

اثيث نبتهُ جعد ثراهُ   بهِ عوذ المطافل والمتالي

كأَن نساءهنَّ مبطنات   الى فوق الكعاب برود خالِ

وفي ارسالهِ حتي يمسّ الثرى قول زياد بن حمل بن سعد من بني تميم

وبالتكاليف تأتي بيت جارتها   تمشي الهوينى ولا يبدو لها قدَمُ

وربما كانت النساءُ يلبسنَ ثيابهنَّ سابغة الذيول كما قال التميمي والبنات يلبسنَ ثيابهن قصيرات الذيول كما ذكر الذبياني ونستخلص من ذلك ان العادة المتبعة عندنا الآن في لباس

النساء والبنات واردة الينا عن العرب الاقدمين والله اعلم

واما لباس الرجال فكان مميزًا بكشف الذراع قال محرز بن المكعبر الضبي في مدح قوم

لهم اذرعٌ بادٍ نواشر لحمها   وبعض الرجال في الحروب غثاه

وقال دريد بن الصمة في صفة اخيهِ عبد الله المدعو ايضاً معبدًا

قصير الازار خارج نصف ساقهِ   صبور على العزّاء طلّاع انجدِ

تيجان الملوك

وكانت ملوك العرب تلبس التيجان قال امية بن ابي الصلت في خطاب سيف بن ذي يزن تبَّع حمير

فاشرب هنيئًا عليك التاج مرتفعًا   برأس غمدان دارًا منك محلالا

وقال تميم بن ابي مقبل العامري

وعاقد التاج اوسامٍ لهُ شرفًا   من سوقة الناسِ نالتهُ عوالينا

وقال عمرو بن كلثوم التغلبي

وسيد معشر قد توَّجوهُ   بتاج الملك يحمي المحجرينا
تركنا الخيل عاكفة عليهِ   مقلَّدة اعنتها صفُونا

وقال النابغة الذبياني هازئًا بيزيد بن عمرو بن الصعق

لعمرك ما خشيتُ على يزيد   من الفخر المضلل ما اتاني
كأَنَّ التاج معصوبًا عليهِ   لاذوادٍ اصبنَ بذي أبانِ

عمامات الرجال

وكانت الرجال تستر رؤُوسها ايام السلام بالعمائم قال سليك بن السلكة

الا عتبتْ عليَّ فصارمتني   واعجبها ذوو العمم الطوالِ

وقال عنترة العبسي

وما الفخر الأَّ ان تكون عمامتي   مكوَّرة الاطراف بالصارم الهندي

واما الفتيان منهم فبعضهم يلبسون البرنس قال حسان بن ثابت

يسعى بها احمر ذو برنس   محتلق الذفرى شديد الحزام

نصيف النساء

اما النساء فكنَّ يغطين رؤُوسهنَّ بالنصيف حتى يستر وجوهنَّ قال النابغة الذبياني

سقط النصيف ولم تُرِدْ اسقاطهُ   فتناولتهُ واتقتنا باليدِ

وكنَّ يغطين الوجه قال ابو دؤاد الايادي

ويصنَّ الوجوه بالميسناني (م) كما صان قرن شمس غمامُ

وقال عنترة العبسي

فخر الرجال سلاسلٌ وقيودُ   وكذا النساء بخانقٌ وعقودُ

والبخنق خرقة تتقنع بها الجارية فتشدُّ طرفيها تحت حنكها

وقال حجية بن المضرَّب

لججنا ولجَّت هذهِ في التغضُّبِ   ولطَّ الحجاب دوننا والتنقبِ

وقال الممزق العبدي

ظهرنَ بكلَّةٍ وسدلنَ رقماً   وثقَّبنَ الوصاوصَ للعيونِ

ولم يكن غطاء الوجه عاماً عند العرب . قالت فاطمة بنت الاحجم في رثاء ابيها

قد كنتَ لي ذا حمية ما عشتَ لي   امشي البراز وكنتَ انتَ جناحي

وربما كان بعضهنَّ يرسلنهُ عندما يرغبنَ في اخفاء امرهنَّ قال الاعشى ميمون

ولقد ساءها المشيب فلطَّت   بحجابٍ من دونها مصروفِ

ولبعضهنَّ حيلةٌ للنجاة من السبي يحسن ذكرها وهي انهنَّ كنَّ ينتقبنَ دون امائهنَّ فاذا غزت الاعداء قومهنَّ كنَّ يبرزنَ وجوههنَّ وينقِّبن اماءهنَّ فتسبى الاماء دون الحرائر والى هذا اشار سبرة بن عمرو الفقعسي في قولهِ

ونسوتكم في الروع بادٍ وجوهها   يُخَلْنَ اماءً والاماء حرائرُ

وبعضُ العرب كانوا اذا فقدوا عزيزاً حسرت نساؤُهم عن وجوههنَّ نائحات لاطمات قال الربيع بن زياد العبسي

مَن كان مسروراً بمقتل مالكٍ   فليأتِ نسوتنا بوجهِ نهارِ
يجد النساء حواسراً يندبنهُ   يلطمن اوجههن في الاسحارِ
قد كنَّ يخبأن الوجوهَ تستراً   فاليوم حين برزن للنظارِ
يضربْنَ حرَّ وجوههنَّ على فتى   عف الشمائل طيب الاخبارِ

ولكن ذلك لم يكن شأن جميع العرب بدليل قول عمرو بن كلثوم التغلبي

معاذ الالهِ ان تنوحَ نساؤُنا   على هالكٍ او ان تضجَّ من القتلِ

بيروت   امين ظاهر خير الله

العلم العملي

ابنَّا في الجزء الماضي فوائد العلم العملي واحتياج البلاد اليهِ وذكرنا اهتمام مدرسة الطب المصرية ومدرسة الطب الاميركية بهِ حتى اذا قرن التلامذة العلم بالعمل خرجوا من المدرسة وقد أُشربت قلوبهم محبة العلم ورسخت حقائقهُ في نفوسهم فاذا اشتغلوا بهِ بعد خروجهم من المدرسة كان لهم مما عملوا بهِ اساس يبنون عليهِ ويتوسعون فيهِ واذا لم يشتغلوا بالعلم بل تعاطوا اعمالاً اخرى كان ما تعلموهُ وتحققوهُ بالعمل اكبر مساعد لهم على فهم حقائق الأعمال والقياس عليها . ولذلك تجد البون شاسعاً بين الذين تعلَّموا على هذه الطريقة وبين الذين اقتصروا على استظهار القواعد العلمية الاولين كأنهم مارسوا الاعمال سنين عديدة وتعلَّموا بالاختبار ما لا يتعلمهُ المرء الاَّ بعد التجارب الكثيرة والآخرين كأنهم لم يتعلموا شيئاً ولا مارسوا عملاً . وكثيراً ما تجد ابن العالم الذي ربي في الغيط او في السوق او في الديوان امهر من ابن المدرسة الذي لم يقرن العلم بالعمل بل اقتصر على حفظ القواعد العلمية

وقد يُظن لاول وهلة ان قرن العلم بالعمل مقتصر على القسم الطبي من اقسام المدرسة الكلية وعلى ما يتعلَّق بالدروس الطبية وهذا يكاد يكون صحيحاً لان تلامذة القسم العلمي قلما يشاركون تلامذة القسم الطبي في غير الاعمال الكيماوية والمباحث النباتية والحيوانية لكن علم الكيمياء والمباحث الطبيعية منهُ تشتمل على كثير من الحقائق العلمية بل هي اساس كل الاعمال حتى اذا كانت صناعة انسان طبخ الطعام رأى في ما وقف عليهِ من الحقائق الطبيعية والكيماوية مرشداً يرشدهُ الى اتقان الطبخ وجعل الطعام طيباً نافعاً . واذا اقتنى الاطيان والمواشي وجد في ما تعلمهُ اكبر مرشد لاصلاح طرق الحرث والزرع والغرس وتربية الحيوانات واستثمار خيرات الارض . واذا اتَّجر في اي صنف كان من اصناف التجارة كان علمهُ معيناً لهُ على الفرق بين البضائع والتمييز بين صحيحها وفاسدها وخالصها ومغشوشها

وللكيمياء الشأن الاكبر في ذلك كلهِ ولا سيما اذا توسَّع الاساتذة فيها ولم يكتفوا بتدريس الطلبة المبادئ الاصلية بل ارشدوهم الى ما يبنى عليها وبيَّنوا لهم علاقتها بالزراعة والصناعة والتجارة وسائر الاعمال . هذا ما كنا نتوخَّاهُ وقتما كنا ندرّس هذا الفن في المدرسة الكلية الاميركية ولا بدَّ من ان يكون خلفاؤُنا قد توسَّعوا فيهِ بعدنا لان المدرسة انشأَت بعد ذلك داراً خاصةً بالكيمياء وهي التي تراها مرسومة في اعلى الشكل الاول الذي صدَّرنا بهِ هذا الجزء . بناءٌ لم نرَهُ حتى الآن ولكن يبلغنا انهُ رحب صالح للتدريس والتجارب الكيماوية .

وفي الصورة الوسطى من تلك الصوَر الثلاث معمل التدريس حيث يجري استاذ الكيمياء التجارب الكيماوية امام التلامذة ولعلَّهم يشاركونهُ فيها فيروا بعيونهم و يلمسوا بايديهم المواد الكيماوية والآلات والادوات التي تستخدم في اجراء العمليات . تراهم في الصورة وقوفاً وامامهم الانابيق والكؤوس والمرشحات وهو يقرأُ اسماءهم او يراجع موضوع خطبتهِ في مذكرتهِ . وترى بعضهم في الصورة السفلى وقوفاً في معمل التحليل الكيماوي حيث يبحثون عن العناصر والمواد السامَّة و يرون تفاعل المواد الكيماوية بعضها ببعض

لو بحثتَ عمَّا دفع الاوربيين في ميدان الارتقاء وميزهم علينا في كل عمل وسهَّل لهم استنباط ما لا يحصى من الاساليب العملية والآلات والادوات الصناعية لرأَيت اكثرهُ في معمل الكيمياء ودار الفلسفة الطبيعية هناك وُجدت نواميس البخار وعُلم فعل الحرارة بالاجسام ودُرست قواعد الميكانيكيات فمَهَّدت السبيل لعمل الآلة البخارية وما نشأَ منها . هناك اكتشف جلفني وفولطه وارستد وفاراداي نواميس الكهربائية والمغنطيسية فبُني عليها التلغراف والتلفون والنور الكهربائي وما يتصل بذلك ممَّا يُعَدُّ منهُ ولا يعدَّد . هناك عُرفت حقيقة الاختمار وكُشفت خفايا الميكروبات فعلمت اسباب الامراض وصُنعت المواد المضادَّة لها . هناك قامت الصناعة على الطبيعة فجارتها او فاقت عليها في عمل الاصباغ وتركيب الطيوب واستخراج الاصول الدوائية فصُنع صبغ الفوة وصبغ النيل وما لا يحصى من الاصباغ الجمادية التي تفوق الاصباغ النباتية جمالاً وبهاءً وَصُنعت الطيوب على انواعها المسك والعطر والزباد والناردين . وصُنعت الكينا ايضاً او ما يقوم مقامها وما لا يحصى من المواد الدوائية

والاوربيون الذين بلغوا هذا الشأْوَ بعلومهم العملية تراهم يشكون من قلتها و يطلبون المزيد منها . الفرنسويون يعيرون حكومتهم واغنياءهم بتقدُّم الانكليز عليهم والانكليز يعيرون حكومتهم واغنياءهم بتفوُّق الالمانيين عليهم والالمانيون يشكون و يتذمرون من سبق الاميركيين لهم . وكلهم خيل رهان يتبارون و يتسابقون مع ان احقر امة منهم تفوقنا بمراحل . مَن رأَى مصنوعات بلجكا او هولندا او اسوج ونروج او سويسرا الجمهورية الصغيرة التي لا يزيد سكانها على ثلاثة ملايين من النفوس — مَن رأَى مصنوعات هذه الامم في معرض باريس او في مخازن القاهرة والاسكندرية ولم يرَ قصورنا وتقصيرنا وان كنا لا نلام في القصور فمن لا يلومنا في التقصير

هذا ويرى قراءُ المقتطف في الكلام على كارنجي الغني الاميركي في مقالة اغنياء اميركا في هذا الجزء انهُ عقد نيتهُ على انشاء مدرسة صناعية في البلد الذي جمع فيهِ اكثر ثروتهِ

يهبها خمسة ملايين من الجنيهات . هبة يقصر عنها الملوك ولا يعلم الاَّ الله كم ينجم عنها من الفوائد لتلك البلاد التي فاقت ممالك الارض في اجتهاد اهاليها وتقدُّمهم . فكأَن هذا الرجل الذي جمع ثروتهُ بارتقاء الصناعة سيثبت للملإِ بهذه الهبة ان العلوم الصناعية من خير ما ترتقي بهِ البلدان وتغنى الامم . ويبلغنا ان احد اغنياء القطر المصري عازم على انشاء مدرسة جامعة بمالهِ الكثير فعسى ان يقتدي بغني اميركا ويجعل مدرستهُ داراً لتعليم العلم العملي العلم الزراعي والعلم الصناعي اللذين لا غنى لهذه البلاد عنهما ولا ارتقاء لها بدونهما

اللينوتيب والمونولين

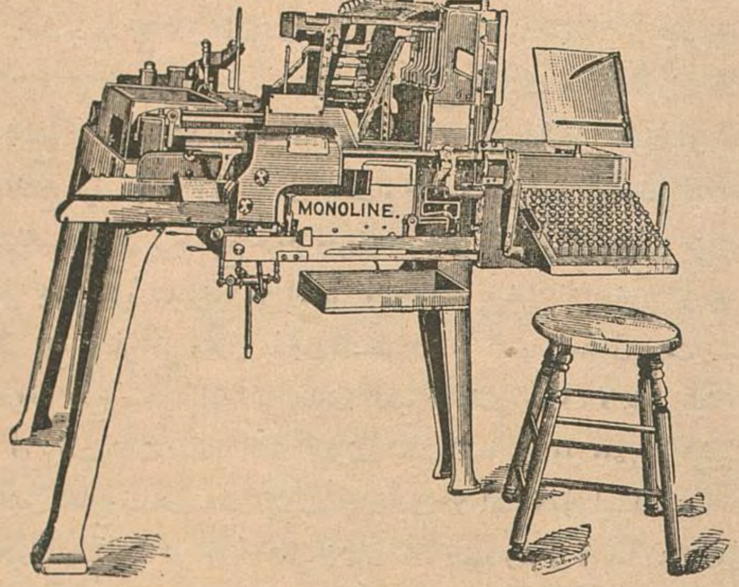

لا ندري ما يقول غوتنبرج لو بُعث في هذا العصر ورأى حُروف الطباعة التي عُني بعملها وضبطها حتى تتأَلف منها الكلمات وجرى الناس على خطتهِ فيها من غير تغيير ولا تبديل مئات من السنين قد صُنعت لها آلة الآن تجمع امَّاتها بعضها مع بعض سطوراً متوالية وتسبك الحروف عليها فتخرج سطوراً منظومةً على غاية الدقَّة والإِحكام

لدينا الآن كتاب عربي كتاب الاصول الهندسية الذي وضعهُ اقليدس ونقلهُ الى

العربية نصير الدين الطوسي طُبع هذا الكتاب منذ اكثر من ثلثمئة سنة وحروفهُ مثل حروف مطابعنا ويظهر منها انها كانت تُسبك وتجمع كما تسبك وتجمع حروفنا الآن فلم يتقدَّم قيد شبر عمَّا كان عليهِ اسلافنا منذ ثلثمئة سنة . وما من عارٍ علينا في ذلك فان الاوربيين لم يستنبطوا آلة لجمع الحروف الاَّ منذ بضع عشرة سنة وكان لاحد ابناء سورية يد في استنباطها كما ابنا ذلك في حينهِ . والآلة المشهورة عندهم الآن المعروفة باللينوتيب نجحت نجاحًا عظيمًا على قرب عهدها حتى يقدَّر ربح الشركة التي تصنعها في اميركا باربع مئة الف جنيه في السنة

وقد رأينا هذه الآلة في معرض باريس كما رآها كل مَن زار ذلك المعرض وكانت تجمع الحروف وتسبكها سطورًا باسرع من لمح البصر ولعلَّها تغني عن ثلاثة او اربعة من امهر مرتبي الحروف لكنها كثيرة التراكيب والتفاصيل فيبلغ ثمن الآلة منها خمس مئة جنيه او اكثر .

وقد رأينا هناك آلة أُخرى اسمها المونولين مرسومة في صدر هذه النبذة وهي اصغر من اللينوتيب حجمًا لا يزيد جرمها على ثلث اللينوتيب وثمنها نحو مئتي جنيه وشرحها بسيط يجلس الصانع على كرسي كما ترى في الرسم ويكون امامهُ مفاتيح بارزة كمفاتيح آلة الكتابة وهي للحروف المختلفة فاذا اراد ان يجمع كلمة بيت ضغط باصبعهِ مفتاح حرف الباء فتنزل امُّ هذا الحرف الى امام عينيهِ ثم يضغط مفتاح حرف الياء فتنزل امهُ الى جانب ام الباء ثم يضغط مفتاح حرف التاء وهلمَّ جرًّا الى ان يتم السطر الذي يريد جمع حروفهِ وفروقهِ ومربعاتهِ فتأتي الى امام عينيهِ حتى يصير منها سطر كامل فيمعن نظرهُ فيهِ خوفًا من السهو او الخطإِ ثم يضغط نخلاً صغيرًا الى يمين المفاتيح ويشرع في جمع سطر آخر وللحال يذهب السطر الاول الذي جمعهُ الى حيث يُسبك عليهِ معدن الحروف فيخرج سطرًا كاملاً من حروف الطبع . ومرتب الحروف لا يفعل شيئًا من ذلك بل يأخذ في ترتيب امات السطر الثاني كما رتب امات السطر الاول ومتى اتمَّ ترتيبها يضغط المخل عن يمين المفاتيح فتذهب هذه الامات كما ذهبت الامات الاولى ليسبك عليها سطر من معدن الحروف وهلمَّ جرًّا الى ان تستعمل الامات كلها فتعود وتفرَّق في اماكنها الاولى . كل ذلك تفعلهُ الآله نفسها لا يساعدها الصانع الاَّ في ضغط مفاتيح الحروف

وقد شاعت هذه الآلة في اوربا وفي بلاد كندا من اميركا ولم يمنع شيوعها في الولايات المتحدة الاميركية الاَّ امتياز اللينوتيب فيها فمتى انقضت مدة امتيازهِ وستنقضي قريبًا يشيع المونولين فيها كما شاع في غيرها

هذا وكلامنا عن اللينوتيب والمونولين كان الى الآن ككلام الفقراء عن ثروة الاغنياء لان اشكال حروفنا تزيد على مئتي شكل في كل نوع من انواع الحروف فيتعذَّر عمل آلة لها

ان لم يستحل . غير ان آلة الكتابة الحديثة التي استنبطها سليم افندي حداد المصور قلَّلت اشكال الحروف العربية كثيرًا فصار استخدام المونولين لها امرًا ممكنًا بعد ان كان متعذرًا من هذا القبيل . ويبقى ان نفقات هذه الآلة كثيرة الثمن يتعذَّر على مطبعة من المطابع الشرقية ان تبتاع بضع آلات منها وهي لا تُصنَع بهذا الثمن الاَّ اذا طُلب منها آلات كثيرة اما اذا طُلب آلات قليلة فيكون ثمنها اكثر من ذلك كما لا يخفى

وكيفما نظرنا في صناعة الطباعة رأينا للاوربيين مزية كبيرة علينا باعتمادنا على صور للحروف تخالف الصور التي اعتمدوا عليها . ومن الغريب انهم هم نقلوا صور حروفهم عن صور الحروف الشرقية الفينيقية ونحن لا يرضينا ان نستردها منهم ونقلوا ارقامهم عن ارقامنا العربية فاهملناها واعتمدنا على غيرها وصرنا نأنف من استرجاعها . وكأَننا آلينا على انفسنا ان نبقى مبتعدين عن كل ما يسهل علينا مجاراة الاوربيين واذا قام احدٌ منا ونادى بما فيهِ صلاح حالنا لم يلفَ مجيبًا من اخوانهِ ولا سامعًا من ولاة الامور . وهؤُلاء اميُّون في الغالب لا يعرفون العلم ولا يقدرونهُ قدرهُ ولا خبرة لهم بما يُبنى عليهِ عمران البلاد واسهل عليهم ان ينفقوا الف جنيه في السنة على حديقة لا يدخلها احد من الناس من ان ينفقوا مئة جنيه على بحث علمي من ورائهِ فائدة كبيرة

اصغر الممالك الدستورية

الى الغرب من بلاد النمسا مع تخومها مما يلي سويسرا امارة صغيرة مساحتها ستون ميلاً مربعًا اي نحو ٣٥ الف فدان وسكانها نحو تسعة آلاف نفس اسمها لكتنستين Liechtenstine لها اميرٌ يُعَدُّ بين ملوك اوربا كما يعدُّ قيصر الروس وامبراطور الالمان او كما يعد امير الجبل الاسود وملك اليونان فيحق لاولادهِ ان يقترنوا ببنات الملوك وللملوك ان يقترنوا ببناتهِ وهو الامير يوحنا الثاني من اقدم الاسر الاوربية المالكة . ويقال انهُ على جانب عظيم من الثروة لهُ في بلاد النمسا كثير من القصور والاباعد ويبلغ عدد قصورهِ واباعدهِ فيها تسعة وتسعين وهو الحد الذي يستطيع احد من الناس ان يمتلكهُ في تلك البلاد . ولهُ في مدينة فينا معرض للصور من افخر معارض الدنيا ومن اعظم ما تفاخر بهِ تلك العاصمة . وهو ملك مستقل في بلادهِ ومتقلد اعظم نياشين الملوك لكنهُ واحد من رعايا امبراطور النمسا ايضًا وعضو من اعضاء مجلس الاعيان النمسوي وضابط في الجيش النمسوي

سُنَّ دستور هذه الامارة سنة ١٨٦٢ ونُقح سنة ١٨٧٨ وكانت قد ارتبطت ببلاد النمسا من حيث الجمرك والبوسطة سنة ١٨٥٢ فان حكومة النمسا تأخذ رسوم الجمرك على ما يدخل هذه البلاد وتعطيها بدل ذلك نحو خمسة آلاف جنيه في السنة وتقدم لها طوابع البوسطة ايضاً . واميرها يقيم في فينَّا لا فيها ولهُ هناك مجلس خاص لكن مجلس نواب البلاد يجتمع في قرية فادوز عاصمتها وهو مؤَلف من خمسة عشر عضواً ثلاثة منهم ينتخبهم الامير والباقون ينتخبهم الشعب ورئيس هذا المجلس هو مدير الادارة ومعهُ وزير الداخلية ووزير المالية ووزير الحقانية ومهندس الحكومة ومدير الغابات هؤُلاء اعضاء مجلس النظار . والمجلس الخاص الذي عند الامير في فينا بمثابة مجلس الاستئناف تستأنف اليهِ القضايا الجنائية والمدنية وبمثابة مجلس اعلى لمجلس النواب الاول

ويجتمع مجلس النواب في فادوز حين لا يكون اعضاؤهُ مشغولين بزراعتهم والغالب انهم لا يجدون فيهِ من المسائل ما يدعو الى بحث طويل لكنهم قد يختلفون في بعض المسائل ويكثر فيها حجاجهم ولجاجهم فاذا لم يتفقوا بعثوا وفوداً الى اميرهم في فينا فيجمع مجلسهُ الخاص وينض المشكل الذي اختلف مجلس النواب فيهِ

وفادوز عاصمة البلاد قرية صغيرة سكانها نحو الف نفس وقد بنى الامير فيها كنيسة كبيرة بلغت نفقات بنائها خمسة عشر الفاً من الجنيهات وبنى فيها ايضاً مدرسة كلية وكل نفقاتها منهُ

والاهالي فلاحون كلهم يحرثون الارض ويصنعون الخمر وآدابهم في الطبقة الاولى ولا يكاد يوجد بينهم مجرم وليس في بلادهم سجن للمجرمين فاذا مسكوا احداً في جريمة بعثوا بهِ الى سجن في بلاد النمسا ودفعت حكومتهم نفقاتهِ في سجنهِ

قال احد الكتاب انهُ كان في عاصمتهم مرة فرآهم مضطربين رجالاً ونساء يجتمعون في الشوارع ويتباحثون كأنهُ بلغهم ان عدوًّا شنَّ الغارة عليهم ولما بحث عن سبب اضطرابهم وجد انهم امسكوا رجلاً من اهالي سويسرا في سرقة . والسرقة فرخان من الدجاج . وكانوا قد قبضوا عليهِ وبعثوا بهِ الى السجن ولكنهم لم يفيقوا من دهشتهم ولم يسكن روعهم النهار كلهُ وهذه اول جناية ارتكبت تلك السنة

ومما يحسن ذكرهُ هنا ان هذه الامارة الصغيرة شهرت الحرب مرة على مملكة بروسيا ولم تصالحها حتى الآن فانهُ لما نشب القتال بين بروسيا والنمسا سنة ١٨٦٦ جرَّد اميرها جيشهُ وهو ستة وستون رجلاً بقيادة يوزباشي اسمهُ رنبرجر وسار بهِ الى حدود النمسا لينضم الى الجيش

النمسوي ولم يصل اليهِ حتى بلغهُ انهُ جرت المعركة التي كانت الفاصلة بين النمسا و بروسيا فعاد بجنودهِ الى بيوتهم قبل ان يطلقوا بندقية . وحلَّ الامير جيشهُ سنة ١٨٦٨ مع ان بلادهُ لا تزال شاهرة الحرب على المانيا حسب قوانين الدول لانها خرجت الى الحرب ولم تمضِ معاهدة الصلح لكنها كالبعوضة على قرن الثور لا يدري بوقوعها ولا بطيرانها . ولاميرها املاك وسيعة في بروسيا وسكسونيا كما لهُ في النمسا واذا اجتمع مجلس الامة الالمانية العام فلهُ فيهِ كرسي وصوت

مستقبل الصين

اخلاق الصينيين وعاداتهم

لا شك ان الصينيين امة منفردة بذاتها استقلت باخلاق وعاداتٍ لها واوضاعٍ واحوالٍ درجت عليها وان هذا السور الذي ادارتهُ من خلفها حاجباً بينها و بين غيرها من الأُمم واردفتهُ بسور آخر معنويٍّ حوَّطت بهِ ارواح افرادها من منع خروج الخارج ودخول الداخل لتكون ارضها عقبة لم يجزها راكب لمَّا يجعل هذه الأُمة قسماً من البشر مستقلاً برأسهِ وحدانياً بنفسهِ ولذلك مع كون هذه الامة شرقية تجد بينها وبين سائر امم المشرق بوناً بعيداً حتى كأَن سائر الشرقيين اقرب الى الغربيين ممَّا هم اليها وهذا ممَّا لا جدال فيهِ . وانما اختلف المؤَرخون واهل النظر في الحكم على اخلاق وعادات الصينيين على ما هي عليهِ من خير وشرّ وهل هي اميل بجملتها الى جانب الفضيلة والصلاح ام الى جانب الرذيلة والفساد وذلك الاختلاف بسبب اختلاف أذواق السياح واغراضهم وتباين مشارب الكتَّاب واهوائهم فذهب بعض المرسلين من اهل اوربا الى ان اخلاق الصينيين في الدرك الاسفل من اخلاق البشر وانهم احوج الامم الى التثقيف واقلهم نصيباً من الفضائل وصوَّروهم باقبح الصور ومثَّلوا بهم اشنع التمثيل في الوصف حثًّا للاوربيين على الالتفات الى تلك البقعة واستدراراً لاخلاف جيوبهم للبذل في سبيل اصلاح سكانها ولكن هذه الطائفة من المبشرين اقل من الفرقة الثانية التي تميل الى الصينيين وتذكرهم بالخير وتمتدح الجمهور من اخلاقهم. ومنها من ذهب الى ان الآداب الصينية اعلى من الآداب الاوربية . وما زال بعض هؤُلاء الدعاة يبالغون في مدحِ اخلاق الصينيين في كتبهم ورسائلهم حتي اذاعوا لهم في اوربا احدوثة حسنى واطاروا لهم سمعةً عظيمة في التهذيب والفضائل لم يوجد بعد البحث والاستقصاء ما يحققها او ما يحقق اكثرها فصحَّ ان الكتَّاب كانوا يمثلون الصينيين بحسب اغراضهم واذواقهم فمنهم المحب الغالي ومنهم المبغض القالي، ولعل الاصح

هو الحد المتوسط بين الطرفين

اما الصينيون فيرون انفسهم اعلي كعباً في المدَنية الصحيحة من الاوربيين و يطلقون على هؤلاء اسم "برابرة الغرب" و يستشهدون على ذلك بميلهم الى استئكال بعضهم بعضاً وقساوتهم في الحروب وتفننهم في آلات القتل وطرق الفناء وربما جاراهم على هذا الفكر غير واحد من الاوربيين الذين يقولون الحق ولو على انفسهم

والحق انهُ لا يوجد بقعة على سطح الكرة تُحترم فيها العوائد والشعائر مثل بلاد الصين ولا يوجد اقليم ينقاد اهلهُ لدعوة الانسانية اكثر من هذا الاقليم فهم صفر الوجوه بيض الصنائع والوداعة عندهم خلق فطريٌّ تعم كبيرهم وصغيرهم ويسمون انفسهم اخواناً فيقولون "رجال الابحر الاربعة اخوان" والأَتراب منهم اخوان بعضهم لبعض ويكون بينهم من حقوق المتاربة ما بين الاخوان من حقوق الاخاء

ومن الدلائل على وداعتهم ان كثيراً من سيَّاح الافرنجة جابوا احفل اصقاع الصين بالعمارة مثل هوبه وستشوان ورادوا قاصيتها ولم يتفق ان وقع لهم اقل اهانة ولا ان تعرض لهم احد بادنى سوء واذا وقع شيء من هذا القبيل في يونان او هونان فهو من النادر الذي لا يعتدّ بهِ . واحسن ما يحتاط بهِ الغريب لمنع ذلك ان يحتمي برجل من ذوي السنّ العالية فيكون كأَنهُ دخل في حمى كليب فانهُ ليس على الصينيين شيءٌ اكرم من الشيخوخة . ثم انك لا تجد في كبار مدن الصين مع ازدحام الالوف في شوارعها سكيراً واحداً وان اشتهيت رؤْية سكير لزمك ان تقصد الثغور البحرية حيث قد اختلط الاوربيون بالوطنيين واقتدى هؤُلاء بهم فهناك ترى السكارى في الاسواق صرعى بنت العنقود كما في اوربا وحسبك ان الاولاد في المكاتب على جانب عظيم من الرزانة والطاعة للمعلمين مع صبرهم العجيب على الدرس وابتعادهم الزائد عن الغضب . واذا تأمل الانسان حركاتهم وسكناتهم وجدها حركات وسكنات قوم يشعرون على حداثة اسنانهم بانهم من اهل المدنية وانهم مرشحون لامور مهمة

عيب الصينيون في ضعف نفوسهم وفقد الاقدام الشخصيّ من بينهم ففاقهم الاوربيون في الجرأَة والعزم كما فاقوا الاوربيين في الثبات والصبر ولا ينكر انهم من اهل الكد والسعي في كسب معاشهم لكن اعتمادهم في السعي على الثبات اكثر مما هو على الاقدام . وتقلّ عند الصينيين المطامع السياسية ويندر عندهم هذا الولوع بالرئاسة والتطاول الى السيادة والغلب كما هو عند كثير من الامم . وفي غرائزهم من حب السلام والركون الى الدعة ما لا يوجد عند أُمةٍ على وجه الارض ولا اظن توجد امة تقلّ فيها اشعار الحماسة واهازيج الفتوَّة قلّتها عند الصينيين

فاكثر اغاني الفلاحين عندهم في معنى الحراثة والشغل كأنهُ لا يهيجهم الاَّ موضوع السلام

"عند ما ذهبنا كان النبات قد وسم وجه الارض وعند ما رجعنا كان النبات قد ذوى. السفر طويل والزاد قليل . كم اصابني شقاء بدون استحقاق منذ اضطررت لنقل السلاح وتركت المحراث"

وانت ترى انهُ لو كان فيهِ شيء من الخواطر الشعرية المعروفة عندنا لعقدتهُ شعرًا ولكنهُ اشبه باقوال المتصوفة والزهَّاد منهُ بالشعر فتركتهُ على حالهِ لئلاَّ تعيرهُ الديباجة العربية شيئًا من مسحة الشعر العربي فينحرف عن اصلهِ . ولعمري ان من ادلّ الدلائل على طباع الصينيين ان تكون اهزاج فتيانهم في المحافل واغاني حداتهم اذا سالت الاباطح باعناق الرواحل عبارة عن تذكارات الراحة والدعة والشغل والحرث . وامَّة هذه افكارها وفتيان تلك اشعارها لجديرة بان يوالي اليابانيون عليها الهزائم وهم نحو عشرها وان لا يكون لها في الحرب موطن يُحمد

والشعر عندهم لا يخلو من علو الطبقة ودقة المعاني ولكنهُ يندر ان يوجد فيهِ النفَس الشخصيّ والمذهب المختص والطريقة المبتدعة وانما القوم على قواعد يراعونها وقيود يرسفون فيها واصطلاحات في التركيب ومناهج في الفكر لا يحيدون عنها يمنة ولا يسرة فلا يكاد يظهر معها المعنى المراد ولا تفيد فيهِ الشراح . وكأَن المباني عندهم اهم من المعاني حتى يصح في شعرائهم تمثل بعض المعاصرين في حق نفسهِ وقد نبَّهوهُ الى كثرة اعتنائهِ بالرَّصف مع الخلو من المعني قال

"فقل انا وزَّانٌ وما انا شاعرُ"

والصحيح ان الشعر غير الوزن وغير التقفية وقد يكون النثر شعرًا ويكون النظم نثرًا في المعنى الذي نريدهُ . ولما كان الصينيون ينسجون الشعر على المنوال الذي تقدم وكان الغالب على افكارهم الحكم والامثال والمبادئ الادبية كان شعرهم اميل الى منظوم الحكم منهُ الى الخيال والانفعال فكأَنهُ اليهم ينظر ابن خلدون فيما ذكر عن شعر الفقهاء والنظَّار وما يقعد بهم عن التفنن والبلاغة من حفظ المتون واستظهار القواعد

وقد جمح بنا جواد القلم في موضوع الشعر الصيني من طريق الاستدلال على اخلاق هذه الامة لأَن الشعر كما لا يخفى مرآة اخلاق الامم ومحك عوائدها ومنازعها وعنوان طباعها وعواطفها فلنرجع الى ما كنا فيهِ من اخلاق الصينيين وعوائدهم

فلا مشاحة ان من اشد الامور ارتباطًا في الصين واوثقها عقدةً ممَّا هي في كل الدنيا مسأَلة القرابة فالعيال في الصين مرتبطات بروابط لا توجد في بلاد غيرها والمملكة كلها تلقَّب بالمائة أُسرة ثم هذه المائة أسرة في الآخر تندمج دمجًا واحدًا فتُعدّ اسرة واحدة . والفضائل

كلها عند الصينيين قائمة بطاعة الابناء للآباء . وفي وصايا كنفوشيوس ان المحبة البنوية هي اساس الاجتماع والقواعد الخمس الثابتات هي علاقة الاب مع ابنائهِ والملك مع رعيتهِ والزوج مع زوجتهِ والشيوخ مع الشبان والصديق مع الصديق . وكل سلطة عندهم مشتقة من سلطة الوالد علي الولد وهو ما مكَّن عرى الهيئة الاجتماعية الصينية ووثَّق روابط الوحدة بين اجزاء هذه الأُمة . ثم ان الفصائل قائمة في الصين مقام الافراد في البلدان الاخرى فاذا جرى من الامور العمومية ما يستدعي صوت الامة مثل انتخاب اعضاء المجالس البلدية كان حق التصويت لرئيس الاسرة او مقدم العشيرة فهو الذي ينوب عنهم جميعاً وفيهِ تنحصر حقوقهم وبمقابلة ذلك هو المسؤُول عنهم والمجزي بذنوبهم ان قدَّموا خيرًا كان الفضل لهُ وان قدموا شرًّا كانت اللائمة عليهِ ولكنهُ مطاعٌ فيهم اميرًا عليهم ولا تسمح الحكومة لولد ان يعق اباهُ او يشاقهُ في امرٍ من الامور ومن يفعل ذلك يلقَ عذاباً اليماً ومن يجترئ على ابيهِ بضربة واحدة يعاقب عليها بالموت

ولكن الابناء عندهم يحترمون آباءهم الى درجة العبادة وقد شوهد في الجهات التي يشتد فيها الفقر ان شباناً باعوا انفسهم بتقديمها للقصاص بدلاً عن محكومٍ عليهم بالقتل حيث يجوّز القانون الصينيّ النيابة في العقوبات كما تقدَّم لنا في فصل سابق وان ذلك البيع كان لاجل اعانة والديهم على المعيشة . فانت ترى انهم يفدون آباءهم بانفسهم . ولن يبلغ البرّ بالوالدين هذه الدرجة عند شعب من الشعوب بل نرى هذا الغلو في البرّ من القسم المذموم وكل شيءٍ تجاوز حدهُ فقد اشبه ضدهُ . ثم اذا مات الاب فهي القيامة الكبرى فيمتد الحداد ثلاث سنوات لا يأكل احد من افراد الفصيلة اثناءها لحماً ولا يشرب خمرًا . ويتأنقون جدًّا في عمل نعش المتوفَّى فاذا لم يملك الانسان الاَّ ما يصنع بهِ نعشاً لابيهِ باعهُ بحذافيرهِ حتى يقوم بذلك الواجب

قيل ان بعضاً ممن لا يملكون شيئاً من حطام هذه الدنيا باع خيط رقبتهِ ليشتري بهِ نعشاً لابيهِ المتوفَّى ورضي بالعبودية بدلاً عن النعش . ومنهم من يبقي نعش والدهِ في البيت فيجعلهُ قبلة لهُ ويجثم بجانبهِ نهارًا ويضطجع حذاءهُ ليلاً . وكيف كانت الحال فالولد في الصين خافض لوالديهِ جناح الذل من الرحمة سواءٌ كانا في الحياة او بعد الممات . والعادة عندهم تعليق ترجمة المتوفَّى في الهيكل وقد درجت القرون على ذلك وتعاقبت الاحقاب فاصبحت الانساب محفوظة بهذه الطريقة حفظاً لا يضاهيها فيهِ غيرها من الضبط ودرجة الثبوت . وانك لتجد الرجل من عُرض القوم يعرف آباءهُ وجدودهُ واحدًا واحدًا الى حد عشرين قرناً ولا تقتصر

معرفتهُ على اسمائهم فقط بل تتناول احوالهم ومواليدهم ووفياتهم . قال اوجين سيمون في رحلتهِ الى الصين انهم يظنون انفسهم خالدين بحفظهم ما وراءهم من تواريخ جدودهم ولذلك كان المطرودون من عيالهم منهم اشقياء فعلاً لانهم مطرودون من حظيرة الاجتماع الانساني

اما الاولاد فليس لهم هذا الشأن عند الموت وما قلت فيهم يقال في العزَّاب والعبيد والنساء الغير الشرعيات . وكثير من الفقراء يلقون جثث اولادهم في مجاري الانهر وربما تركوها امام بيوتهم فجاء الدفَّانون فاخذوها وهي عادة ذميمة عند اهل الصين واقبح منها ما هو معهود في بعض المقاطعات من قتل البنات خشية املاق على حد الوأد الذي كان معروفاً في الجاهلية مع اختلاف في الطريقة فالعرب كانوا يدفنون المولودة حيَّةً في القبر وهؤلاء يقتلونها غطساً في الماء البارد حتى تختنق . وتختلف الاسباب والوأدُ واحدٌ . وهذا ناشيء عندهم كما كان عند العرب عن خوف الحاجة او العار . وربما افتخروا بذلك كما افتخر العرب قائلين دفن البنات من المكرمات. واصل معنى الوأد عند العرب الثقل لأنها كانت تثقل بالتراب واول من منع من الوأد في الجاهلية صعصعة بن ناجية جد الفرزدق ولما جاء الاسلام كان قد فدى ثلثمائة موءودة والى ذلك اشار الفرزدق مفتخرًا وحقَّ لهُ الفخر

وجدّي الذي منَع الوائدات   واحيا الوئيد فلم تُؤادِ

ثم ابطل ذلك الاسلام ونزل قولهُ تعالى "ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحنَ نرزقكم واياهم" والولاة في الصين يظهرون انكار هذه العادة وإكبارها على فاعليها ولكنهم باطناً يعذرون اصحابها ويغضون الطرف عنهم . وهناك طريقة اخرى للتخلص من الفقر وهي بيع الاولاد والشائع بيع الاناث اكثر من الذكور

واما حالة النساء في الصين او على رأي كتاب العصر "حالة المرأة في الصين" فهي من اسوإ الحالات وحسبك دليلاً على ذلك قصر اقدامهنَّ تلك العادة القبيحة التي استحسنها اهل الصين واصرُّوا عليها ورأوا فيها الجمال الباهر واللطف الساحر اذ اعتدُّوا مزيد الترف في دقة الطرف فاوجبوا تصغير الاقدام وعمدوا الى القوالب يضعونها فيها منذ بلوغ البنت الخامسة او السادسة من العمر فنشأت قدمها صغيرة واصبحت المرأة الصينية لا تستطيع رفع شيء ثقيل من الارض ولا النهوض بسرعة ولا القيام بشغل فيهِ مشقة واذا تمشَّت لزمها ان تنحني ذات اليمين وذات الشمال متوكئةً على ذراعيها كأنها تستمسك بالهواء لضعف قاعدة جسمها وهي المشية التي تأخذ بمجامع قلوب عشاقهم ويتغزل بها شعراؤهم فيشبهونها بتموجات الصفصاف حرَّكهُ النسيم . وزعم بعضهم ان مبدأ هذه العادة كان عندهم سنة ٩٢٥ للمسيح وانها انتشرت شيئًا

فشيئاً حتى عمت البلاد الاَّ باكين من الشمال وستشوان والولايات الجنوبية فان الفلاَّحات مستثنيات فيها من هذه العادة الذميمة . ويقال ان اكثر من ثلثي النساء في مدن الجنوب لا يقصرن اقدامهنَّ ومقصورات الاقدام منهنَّ انما هنَّ مقصورات الحجال لان المرأة التي لا تخضع لهذه العادة بحسب زعم اهل الصين تعد خارجة عن الجمعية المتمدنة ولا تصيب لها من الكياسة والحضارة . ولذلك كثير من الآباء الذين يستهجنون هذه العادة لا يجدون ندحةً من الخضوع لها وتحدث لبناتهم الامراض والآلام بسببها وهم صابرون لئلاَّ تفوتهم الكياسة و يطردوا من حلقة التمدن ولئلاَّ تحرم بناتهم الزواج فيلبثن في البيوت عراتق ويبقين كلاًّ على العواتق . ولا يخفى ما ينزل هذا الامر بالمرأة في درجة الاضطلاع على تدبير المنزل ولكن تنتهي الحيلة والمران باقتدار النساء على ذلك و بعض نساء الفلاحين يساعدن بعولتهنَّ في الحراثة والشغل والعادة طبيعة خامسة او حامسة كما يقول بعضهم

وعلى المرأة طاعة زوجها الى حد العبادة لانها من دونهِ ولكن طاعتها لوالديها لا تزال مقدَّمة . ومن امثال النسوة عندهم " اذا تزوجتُ طيراً يجبْ ان اطير معهُ " فليس للمرأة ان تتشكى ولا ان تتبرَّم ولا ان تحاكم بعلها الى القضاة وانما يجوز لها اذا اشتد عليها ظلم زوجها وضاقت مذاهبها ان تتوجه الى الهيكل وفي يدها ورقة عليها صورة زوجها فتعلقها منكوسة وتصلي لالهة الرحمة لكي تغيّر لها قلب زوجها الى الاصلح لان قلبهُ متزحزح عن موضعهِ . وللزوج الحرية في الطلاق بدون مراجعة حاكم وليس يتعين ان يكون السبب مهمًّا فقد تطلق الزوجة لعاهة فيها او مرض اصابها او لهذرها . ولكن الصينيّ يجد طريقة للتخلص من امرأتهِ بدون ان يلحقها ضرر فانهم يبيعون نساءهم بالثمن فاذا كانت المرأة غير موافقة سرَّحها زوجها مبيعة من بعلٍ آخر فتخلَّص هو منها واعلقها بيتاً آخر تعيش فيهِ ورجلاً آخر يعولها . ولبعض النسوة عادة في الانتحار عقيب وفاة ازواجهنَّ وهي عادة عزيزة عندهم لا يأتيها الاَّ أُولات العزم فمنهنَّ من يخترن الموت بالافيون ومنهنَّ من يلقينَ بانفسهنَّ في الماء ومنهنَّ من تشنق نفسها بيدها وكلهنَّ يخالفنَ الهنديات في امر الحريق . ومتى عزمت المرأة على الانتحار اعلنت عزمها هذا فجاء الاهل والجيران والاصحاب يحمسونها على كريم فعلها عندهم ويهنئونها عليهِ بدلاً من ان ينهوها عن هذه الفظاعة والظاهر ان قتل النفس يهون عند اهل تلك البلاد فانهُ لما دخلت العساكر الاوربية اقليم تشيلي سنة ١٨٦٠ انتحر الوف من الصينيات خشية الوقوع في ايدي الاجانب . ولو كان يهون عند اهل الصين قتل الغير كما يهون عندهم قتل النفس لما اقتحمتهم امة ولا استباحت حماهم دولة ولكن قتل النفس من الجبن وهم عريقون في هذه الخلَّة

شكيب ارسلان

السير في الهواء

ضاقت صفحات المقتطف في الشهر الماضي عن خبر كنَّا نودُّ نشرهُ فيهِ . لكن تأخُّرهُ الى هذا الشهر جاء اوفى بالمراد لانهُ وردتنا جريدة السينتفك اميركان وفيها رسم الآلة التي الخبر عنها وهي بالون صنعهُ شاب برازيلي اسمهُ سانتوس ديمون على امل ان ينال بهِ الجائزة التي وعد بها المسيو هنري دويتش لمن يصنع بالونًا يطير بهِ من سان كلو (على مقربة من باريس) الى برج ايفل ويدور بهِ حول ذلك البرج ثم يعود الى سان كلو في نصف ساعة اي انهُ يجب ان لا يقيم اكثر من نصف ساعة من حين خروجهِ من سان كلو الى حين رجوعهِ اليها والجائزة مئة الف فرنك والمسافة ذهابًا وايابًا نحو عشرة اميال

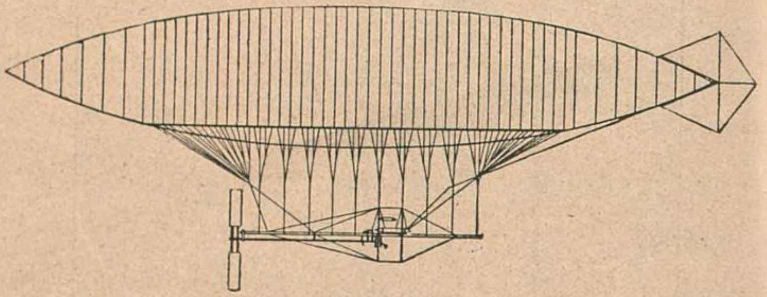

بالون ديمون

ولد هذا الشاب في بلاد برازيل سنة ١٨٧٣ وأُولع من حداثتهِ بالبالون والطيران وكان اولاً يستعمل البالون الكروي فاهملهُ وفضَّل عليهِ المغزلي . والبالون الذي صنعهُ الآن طولهُ ٣٤ مترًا وقطرهُ في وسطهِ ستة امتار ومساحة فراغهِ ٥٥٠ مترًا مكعبًا وهو مغزلي كما ترى في هذا الشكل تحيط بهِ حبال علق بها الآلة التي يحركهُ بها وطولها ١٨ مترًا وهي عمود طويل من خشب الصنوبر وآلة بخارية في وسطهِ قوتها ١٦ حصانًا ويتصل بها لولب كالمروحة وفي وسط الآلة سلَّة صغيرة يجلس فيها ويدير الصمامات والدفَّة وفي اسفلها عجلتان كعجل الدراجة لتجري عليها قبل طيرانها وترى ذلك كلهُ واضحًا في الشكل الثاني

وقد طار بهذا البالون من سان كلو الساعة الخامسة صباحًا خرج بهِ من البيت الذي كان فيهِ وسار قليلاً على عجلتيهِ ثم ادار الآلة البخارية فادارت الدفة ورفعت البالون فارتفع بهِ رويدًا رويدًا وهو يرمي الرمل قبضة بعد قبضة والبالون يزيد ارتفاعًا ثم سار في خط مستقيم الى برج ايفل ودار حولهُ بسهولة على بعد ثلثمئة متر منهُ ولما اتمَّ الطواف حولهُ عاد ادراجهُ الى

سان كلو فوصلها لكن تعذَّر عليهِ ان يدخل البيت الذي خرج منهُ وتعذَّر عليهِ ايضاً ان يدخل دار البالونات لان المسيو دو يتش كان يبني فيها بالوناً كبيرًا امام بابها ونفد حينئذٍ السائل الذي يوقدهُ في الآلة البخارية فترك البالون الى رحمة الرياح واضطرَّ ان ينزل بهِ سريعاً فعلق بشجرة ولكن لم ينلهُ ضرر لا هو ولا راكبهُ . وبلغت المدة التي ذهب فيها ورجع احدى واربعين دقيقة لا ثلاثين دقيقة فلم يستحق الجائزة لكنهُ كان عازماً ان يصلح البالون ويطير بهِ مرةً اخرى

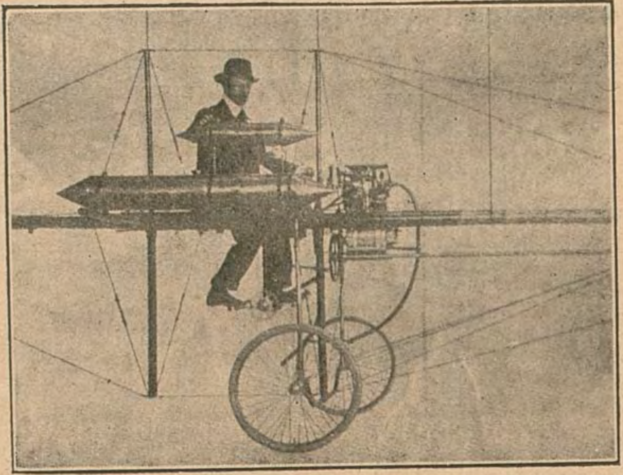

آله بالون ديمون

والظاهر ان مسألة الطيران في الهواء قد حُلَّت بهذا البالون اذا لم تكن الرياح شديدة ولكن لا على اسلوب عملي تجاري يسهل استعمالهُ كاستعمال سكك الحديد وسفن البخار بل على اسلوب فكاهي يصلح استعمالهُ للنزهة وهذا ليس الغرض المقصود من السير في الهواء ويصحُّ استعمالهُ ايضاً في زمن الحرب وهو وان كان عملياً تجارياً الاَّ ان فائدة الناس منهُ لا تزيد عن فائدتهم من المدافع والبنادق

اما بالون زبلن الذي ذكرناهُ غير مرة فالعواصف التي عجزت عنهُ طائرًا في الجو قدرت عليهِ ساكناً في بيتهِ لانها عبثت بهِ وبالبيت الذي يظللهُ وفتلت قضبانهُ وعوارضهُ وكادت تمزقهُ تمزيقاً فلم يعد صالحاً للطيران . ويقال ان صانعهُ عازم ان يصلحهُ او يصنع بالوناً آخر امتن منهُ واقوى

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

اسهال الاطفال

من كتاب الفهُ الدكتور اسكندر جريديني وهو شارع في طبعهِ

الاسهال ابراز مواد مائعة دفعات متوالية يختلف عددها من ١٥ الى ٢٠ الى ٥٠ في اليوم. وانواعهُ اربعة البسيط والحاد والبطني والالتهابي

النوع الاول الاسهال البسيط : ويقال لهُ سوء الهضم المعوي يحدث من الافراط في الاكل وعدم مراعاة قوانين النظافة وترتيب اوقات الغذاء سواء كان من الثدي او زجاجة الارضاع . ومن الاسباب التي تعدّ الاطفال لهذه العلّة تغيرات الجوّ الفجائية والانتقال من الاقاليم الباردة الى الحارة ولهذا السبب يكثر الاسهال بين الاطفال والاحداث الذين ينتقلون في فصل الصيف من الجبال الى السواحل او من القطر الشامي الى المصري . وتشتد العلة اذا وافق حدوث الاسباب المذكورة طور التسنين وهو زمن ظهور الاسنان فان الجهاز العصبي والقناة الهضمية يتأثران في مثل هذه الحال بسرعة زائدة

الاعراض : براز متواتر يبلغ عددهُ من ٥ الى ٢٠ في اليوم الواحد . وفي الغالب يكون البراز في الدفعات الثلاث الاولى طبيعياً في لونهِ وقوامهِ ثم يصير مائعاً مخضرًّا او مصفرًّا وممزوجاً بمخاط ومواد غير مهضومة من الطعام وفي الآخر يتخطط قليلاً بالدم

وقد يسبق البراز ألمٌ وزحير وفي اثناء ذلك يسرع النبض وترتفع حرارة الجسد شيئًا قليلاً. ويرافق العلة قيء خفيف وانتفاخ في البطن من تولُّد الغازات في المعى وألمٌ يشعر بهِ في القسم المعوي تحت الضغط وفي بعض الحوادث يصاب العليل بتشنجات عضلية وهي علامة رديئة تدلُّ على تسمُّم القناة الهضمية . وجملة الكلام انهُ لا يمر على العليل ساعات قليلة وهو في هذه الحال حتى تبدو على وجههِ وساقيهِ علائم الضعف والهزال

العلاج : يعطى العليل ملعقة او ملعقتين من زيت الخروع لتنظيف المعى من فضلات الطعام وغيرها من الاسباب المهيجة . وقد يرفض زيت الخروع كما هو الغالب في الاطفال

فيحقن بهِ في المستقيم بعد مزجهِ بقليل من الماء او يُكسر باللبن ويضاف اليهِ نحو عشر نقط من الكونياك فيختفي طعمهُ ويسهل تناولهُ . ولا يجوز استعمال المساهل الاَّ في اول ظهور الاعراض لئلاَّ تكون سبباً لانحطاط قوى العليل وعندئذٍ يُعالج بالحقن على الطريقة الآتية

تحت نترات البزموت	٦٠	سانتيجراماً
ملح الطعام	٦٠	"
ماء مقطر او مرشح	٦٥	غراماً

وكل ٣٢ غراماً تساوي فنجاناً صغيراً . يحقن بها صغار الاطفال مراراً في النهار كل مرة بمثل هذا المقدار واذا كان الطفل ابن سنتين يضاعف هذا المقدار ثلاث مرات ويجب الاحتراز من استعمال الافيون او غيرهِ من القوابض قبل تنظيف الامعاء من المواد المهيجة على نحو ما اسلفنا ذكرهُ

اما الالم فيسكَّن بملعقة صغيرة من شراب الراوند العطري او بخمس نقط او اقل من صبغة الكافور المركبة تكرَّر تبعاً لمقتضى الحال

ومما يفيد ايضاً العلاج الآتي ولا سيما اذا كانت العلة مصحوبة بالقيء وهو ماء الكلورفورم وماء الجير وماء القرفة من كل صنف فنجان صغير تمزج معاً وتعطى ملعقة صغيرة كل ١٠ دقائق او ١٥ دقيقة فيخف الذرب فضلاً عن ان هذا الدواء مطهر للمعى ومضاد للفساد

واذا لم ينقطع الاسهال بعد ٢٤ ساعة من هجمتهِ فتفيد الجرعة الآتية

كلومل	٣٠ الى ٥٠	مليجراماً
تحت نترات البزموت	٣٠	سانتيجراماً
سالول	٥	سانتيجرامات

تمزج معاً وتعطى كل اربع ساعات على خمسة ايام ويجوز استعمالها ايضاً بعد انقطاع الاسهال خوف الانتكاس

بقي ان نذكر انهُ ينبغي ان يمنع العليل عن الطعام نحو ٦ ساعات او اكثر اذا كان ممن يُغذَّى بالصناعة ويُسقى في خلال المدة المذكورة مقدار فنجان من ماء بارد مع ٥ الى ٢٠ نقطة كونياك كل ساعة وفي نهايتها يُعطى مرق اللحم ولا يغذَّى باللبن ما لم يعود البراز الى حالتهِ الطبيعية وعندئذٍ يعطى من صبغة جوز القيء نحو نقطتين قبل الاكل لتقوية الهضم المعوي

النوع الثاني الاسهال الحاد : وهو الذي تأتي اعراضهُ فجأَةً فيتواتر الذرب والقيء وتنحط قوة العليل ويهزل بسرعة زائدة وفي قليل من الوقت يصبح جلداً على عظم . ويقال لهذهِ العلَّة

كولرا الاطفال لانها تشبه في سيرها الكولرا الاسيوية المعروفة بالهواء الاصفر . ولا تحدث الاَّ في فصل الصيف من شدة الحر ولا سيما في المدن الكبيرة بين الفقراء الذين يسكنون البيوت القذرة ولا يراعون في تربية اطفالهم قوانين النظافة . واكثر حدوثهِ من الشهر الثالث الى آخر السنة الثانية من العمر

الاسباب : ميكروب خصوصي يفسد اللبن وكل طعام مؤَلف منهُ . ولذلك يكثر هذا النوع من الاسهال بين الاطفال الذين يعيشون على الرضاع من الزجاجة اذا لم يطهر اللبن قبل استعمالهِ . وما عدا الاسباب المار ذكرها فان جراثيم المرض تدخل القناة الهضمية عن طريق المستقيم او من حلمة الثدي او اصابع الطفل الوسخة

الاعراض : يهجم القيء والاسهال فجأَةً وفي بعض الحوادث يسبقهما ذربٌ خفيف مائع ومخضرٌّ قليلاً . اما القيء فمنهكٌ واكثرهُ في الاول من محتويات المعدة ثم يصير مائيًّا متواصلاً واخيرًا تفرغ المعدة ويبقى العليل متكلفًا لهُ . ويزداد القيء عند تناول اقل شيء من طعام او شراب

وفي اثناء ذلك يصفرُّ وجه العليل وينتفخ بطنهُ وتغور عيناهُ ويبرد عرقهُ ويعطش عطشًا زائدًا وفي الآخر يتجعد جلدهُ وتنحطُّ حرارة جسدهِ ولا يزال على هذه الحال حتى يصبح كالخيال ويستولي عليهِ السبات فيموت في اقل من ست ساعات واحيانًا تنتهي العلة بتشنجات عضليَّة تقضي عليهِ

واما البراز فيزداد المرة بعد الأُخرى ثم يتواصل ويتغير لونهُ بالسرعة من اصفر طبيعي الى اخضر يشبهُ السبانخ وفي الآخر يتبرز العليل مواد مائعة في كمية كبيرة يتخللها مواد مخاطية اشبه بماء الارز

وهذا النوع من الاسهال شديد الخطر على الحياة ولا ينجو من شرهِ الاَّ الاطفال السمان . واذا كان العليل ممَّن تربَّوا على التغذية الصناعية فالامل في شفائهِ ضعيف لان فعل السم يبلغ درجةً لا يؤَثر فيها دواءٌ . ومن الاعراض الحسنة تناقص القيء والاسهال بالتدريج وعدم حدوث اعراض عصبية وانحطاط في القوى

العلاج : نوعان علاج واقٍ . وعلاج شافٍ

العلاج الواقي : يقوم بتنظيف حلمة الثدي قبل الرضاع وبعدهُ . واذا كان الطفل يُغذَّى بالصناعة فيطهر اللبن من جراثيم الفساد باغلائهِ على النار ولكن الاغلاء يفسد طعمهُ ويغيِّر موادهُ فلا يصلح للرضاعة (١) . ويجب ان تغسل الزجاجة بالماء السخن حتى تنظف

---

(١) راجع الجزء الماضي من مقتطف هذه السنة

جيداً وقليلٌ من اللبن القديم اذا نُسي فيها يكفي لفساد اللبن الجديد. وان تكون الحلمة الصناعية التي تُركب عليها قصيرة لكي يسهل غسلها من بقايا اللبن العالقة بها

ومن الوسائل الناجعة ان يمنع الطفل عن الرضاع عند اقل اسهال يصيبهُ في الصيف ويُسقى مرق اللحم او زلال البيض عدة ساعات

العلاج الشافي: (١) ان يمنع العليل عن الطعام نحو ٨ ساعات واحياناً اربعاً وعشرين ساعة من ابتداء العلة. وبسبب الانحطاط الزائد الذي يظهر باكراً في هذه العلة يضطر العليل الى المنبهات وافضلها الكونياك يعطى منهُ ملعقة صغيرة او ملعقتين في فنجان ماء بارد مقطر يكرَّر ذلك كل ساعة او اقل تبعاً لمقتضى الحال

(٢) ينبغي مساعدة الطبيعة على قذف السموم من الامعاء بمحلول ملح الطعام او البزموت (خمس جرامات في ٥٠٠ جرام ماء مقطر) يحقن بها في المستقيم ويكرَّر ذلك ما دام القيء والاسهال مستمرين

واذا كانت حرارة الجسد منخفضة كما هي الحال في اغلب الحوادث فيغمس العليل في ماء درجة حرارتهِ ٩٥° وتزاد الى ان تصير ١١٠° بمقياس فهرنهيت. ويضاف الى الماء قليل من مسحوق الخردل لتنبيه دورة الجلد

واما الحمَّى (اذا وجدت) فتخفف بوضع اكياس الثلج على الرأس او غسل البدن بماء فاتر وفركهِ بمنشفة خشنة ولا يجوز تخفيفها بالادوية لئلا تنحط القوى ويموت العليل

(٤) يغذَّى الطفل بعد زوال القيء بماء زلال البيض او مرق اللحم ولا يعود الى غذائهِ الاصلي ما لم يمرَّ عليهِ بضعة ايام سليماً من الاعراض المذكورة وعلى ذلك فقد يبقى في خطر الانتكاس عند اقل سبب يهيج الامعاء

هذا كل ما يمكن عملهُ في غياب الطبيب ومن الواجب اعلامهُ باسرع ما يمكن من الوقت ضناً بحياة العليل ان تذهب ضحية الجهل والاهمال. انتهى

زينة المائدة

الازهار والاثمار اجمل ما تزدان بهِ موائد الطعام فإما ان توضع الازهار في حقة واسعة في وسط المائدة او في كأسين طويلتين دقيقتين توضعان منحرفتين عن وسطها احداهما الى يمين الخط الاوسط والاخرى الى يسارهِ او توضع في اربع كؤوس صغيرة في شكل مربع ويوضع بينها اناءٌ فيهِ اثمار جميلة المنظر كالتفاح والعنب والبرتقال

ولا بدَّ من ان توضع الازهار على اسلوب تظهر فيهِ كل زهرة على حدتها وان يكون بينها اوراق خضراء من ورقها او من نبات آخر دقيق الورق كالسرخس ونحوهِ . ويحسن ان يكون للازهار رائحة عطرية ولكن اذا لم توجد الازهار ذات الرائحة العطرية فالازهار البرية الخالية من الرائحة تقوم مقامها بشرط ان لا تكون خبيثة الرائحة

والازهار على المائدة لا تغذي الجسم ولا تجيد القابلية ولكنها تبهج النظر وتربي الذوق على حب الطبيعة وجمالها

غطاء المائدة

يجب ان يكون غطاء المائدة من الكتان النقي لا من القطن ولا من الكتان الممزوج بالقطن لان الكتَّان الصرف يقيم اكثر من القطن وهو اجمل منهُ منظرًا وارخص منهُ ثمنًا بالنسبة الى طول اقامتهِ . واجود انواع الكتان الارلندي ثم الفرنسوي . وتغطى المائدة بلباد رقيق اولاً ثم بغطاء الكتان ويجب ان يكون هذا ابيض ناصع البياض مكويًّا ومطويًّا وان يكون واسعًا يغطي المائدة ويطف عليها ٤٥ سنتمترًا الى ٥٠ . واذا كان خاصًّا بالمائدة من اصلهِ فيكون فيهِ نقش مخصوص يزيدهُ جمالاً فهو يفضل على الغطاء الذي يقص من الثوب . واذا كانت ربة البيت تحب الزينة طرَّزت حرفين من اسم زوجها في وسط الغطاء او في احدى زواياهُ او طرزت رقعة مستديرة او مستطيلة وبسطتها عليهِ لزينتهِ

ويجب ان تكون فوط الطعام من نوع غطاء المائدة وتكون فوط العشاء كبيرة طول الفوطة منها يرد وعرضها يرد . اما فوط الفطور والغداء فتكون اصغر منها . واذا اريد اتقان المائدة فلا بدَّ لها من فوط صغيرة طول الفوطة منها نحو ١٥ سنتمترًا وعرضها كذلك توضع تحت الكؤُوس التي تغسل فيها الفاكهة والانامل وهذه تطرَّز على اساليب مختلفة وكذلك توضع فوط مطرزة في صحون الخبز والكعك وفي الصحون التي توضع فيها اباريق الماء وقناني الشراب وتحت الصحاف الكبيرة التي يوضع فيها الطعام قبل تفريقهِ

ولا بدَّ من ان تكون الالوان في كل ما يطرَّز نحيفة قليلة الظهور او يُقتصَر على اللون الابيض

الذهاب الى المائدة

اذا كان في البيت دعوة لغداء او عشاء فالعادة المتَّبعة عند الاوربيين ومن جرى مجراهم ان تعرّف ربة البيت كل رجل بالسيدة التي تختارها لهُ ليسير معها الى المائدة ويجلس بجانبها . ثم يسير رب البيت باكبر المدعوات سنًّا او ارفعهنَّ مقامًا يأخذ يسارها بيدهِ اليمنى اي يضع

ذراعها تحت ابطهِ الايمن ويمشي بها الى المائدة ويجلسها عن يمينهِ ويمشي الجميع وراءهُ على هذا النسق رجلاً وامرأة رجلاً وامرأة وفي آخرهم ربة البيت تمشي مع اكبر المدعوين سنًّا او ارفعهم مقامًا وتجلسهُ عن يمينها

المائدة التركية

الطعام التركي يلذ لجمهور كبير من قراء المقتطف اكثر من الطعام الاوربي وليس كلامنا فيهِ من حيث نوعهُ وطبخهُ بل من حيث الاسلوب الذي يؤكل بهِ في الولائم

فاول طعام يقدَّم على المائدة التركية الشائعة في الولائم في هذا القطر مرق فرخة يقدَّم في اناء كبير والفرخة فيهِ فيأكل منهُ الجميع بملاعقهم . وهي عادة لا تخلو من الضرر لانهُ اذا كان في فم احد منهم مرض معدٍ كما قد يكون احيانًا فلا يبعد ان تمتزج جراثيم العدوى من فمهِ بالمرق وتضرُّ الذين يأكلون منهُ

ويأتي بعد المرق خروف محمَّر او ديك رومي والغالب ان الآكلين يأكلون منهُ بايديهم ولا ضرر في ذلك ولكن يحدث كثيرًا ان يتبرَّع احد الحضور ويمزق اللحم بيدهِ كما يمزق الاسد فريستهُ ويقدِّم من اللحم للذين يريد اكرامهم فلا منظر ذلك يروق للآكلين ولا طعمهُ يحسن لهم وما هو من الكياسة في شيءٍ

ثم تتوالى الوان الطعام والغالب ان كل واحد يأكل منها قليلاً جدًّا مما امامهُ فلا ضرر من اكل كثيرين من صحفة واحدة ولكنَّ رؤْية الناس يأكلون باصابعهم ويلحسون انامِلهم لا تروق لكثيرين ولا داعي لها فاذا كان الخبز رقيقًا يسهل رفع الطعام باللقمة منهُ فالاكل باليد حسن وقد يستطيبهُ اكثر الشرقيين اكثر مما يستطيبون الاكل بالشوكة ولكن اذا لم يكن الخبز رقيقًا ولم يُستعمل لتناول الطعام فالاكل بالشوكة افضل من الاكل بالانامل واسلم منهُ عاقبةً

وما يقال عن الطعام يقال عن الحلوى فان اكل السائل منها بالملاعق من صحفة واحدة ليس حسنًا وقد لا يخلو من الضرر واكل ما بقي بالانامل ليس مما يستحسن الاَّ اذا كانت جافَّة لا يسيل قطرها على الاصابع

وجملة القول ان اكل السوائل من صحفة واحدة عادة غير حميدة ولا بدَّ من الاقلاع عنها وكذلك يجب ابطال كل ما من شأنهِ تلويث الطعام بلعاب احد الآكلين منهُ او تلويث طعام زيد بيد عمر

اما الشراب فلا يقدَّم منهُ على المائدة التركية الاَّ الماء وهو قد يكون مرشحًا وقد يكون غير

مرشَّح والغالب ان يقف الساقي وبيدهِ ابريق او قلَّة وكاس يصب الماء ويسقي الآكلين من كاس واحدة . وهي عادة مستهجنة جدًّا اقل ما يقال فيها انها لا تخلو من الضرر . والذي يولم وليمة ينفق عليها القليل والكثير لا يتعذَّر عليهِ ان يضع كاسًا لكل ضيف من ضيوفهِ كما يضع لهُ ملعقةً وكرسيًّا . ولا بدَّ من استعمال الماء المرشح اذ قد ثبت الآن ان مرضين وبيلين من اشد الامراض فتكًا وهما الهواء الاصفر والتيفويد تدخل عدواهما الجسم مع ماء الشرب فلا يجوز لمن يدعو الناس الى وليمتهِ ان يعرضهم لمثل هذا الخطر

هذا من حيث العيوب الكبيرة التي يجب اصلاحها اما العيوب الصغيرة التي تعدُّ من باب النقص فكثيرة وسنفرد لها فصلاً آخر في فرصة اخرى

اشربة مبردة

شراب الليمون

فنجان من عصير الليمون الحامض وفنجان من عصير البرتقال وفنجان من عصير الفروله امزج هذه الفناجين الثلاثة وحلها بالسكَّر وضعها في ابريق كبير من الزجاج واضف اليها فنجانين من الثلج المكسَّر كسرًا صغيرة وما يكفي من الماء

شراب الاناناس

قطّع ثلاث اناناسات كبيرة ناضجة شرائح صغيرة وضعها هي وعصيرها في اناء عميق وضع عليها سكَّرًا ناعمًا وصبَّ فوقها نصف اقة من الماء الغالي واتركهُ حتى يبرد . ثم ضع هذا الماء وما فيهِ في اناء كبير فيهِ قطع ثلج كثيرة . ويشرب هذا الماء في كؤُوس فيها ثلج مكسَّر كسرًا صغيرة وفيها قليل من السكَّر الناعم

شراب اللبن

برّد اللبن الحليب بعد اغلائهِ واضف اليهِ سكَّرًا ناعمًا وقليلاً من الماء والخمر وثلجًا مكسرًا كسرًا صغيرة كالحمص فيكون من ذلك شراب منعش مبرد . واللبن الرائب يقوم مقام اللبن الحليب ويستغنى بهِ عن الخمر

تسنين الاطفال

التسنين او ظهور الاسنان من اللثة حادث يتعب منهُ الاطفال احيانًا كثيرة وتصيبهم منهُ نوب تشنج ولكن ذلك خاص بالاطفال الضعاف الذين لم يعتنَ بهم الاعتناء الواجب .

اما الاطفال الاقوياء الذين أُحسنت تربيتهم فالغالب ان اسنانهم تظهر من غير الم ولا تعب او بقليل من الالم والتعب

ولا بدَّ من تقليل طعام الطفل وقتما يبتدئ ظهور اسنانهِ ولكن يسقى من الماء قدر ما يشاء لتبريد فمهِ ويحسن ان يعطي شيئاً يمضغهُ تسكيتاً لالم لثتهِ . والبعض يعطونهُ حلقة من العاج لكن العاج صلب لا يصلح لذلك وخير منها قطعة من الكاوتشوك في شكل حلقة او في شكل صليب ويقال ان القطعة التي في شكل صليب اصلح من القطعة التي في شكل حلقة

نوم الاطفال

الاطفال احوج الناس الى النوم ويجب ان تمضي الايام الاولى من عمرهم في الاكل والنوم ثم يُقلَّل نومهم ولكنهُ يبقى كثيراً بالنسبة الى نوم الكبار فيجب ان ينام الطفل الذي عمرهُ سنتان اثنتي عشرة ساعة ليلاً وساعة او ساعتين نهاراً

وعلى ام الطفل ان تبذل جهدها لتجعل طفلها ينام في اوقات معلومة كل يوم فان نام في الوقت المعيَّن لنومهِ فبها والاَّ وجب عليها ان تصبر صبر الكرام الى ان ينام ولا يجوز لها بوجه من الوجوه ان تسقيهُ شيئاً منوّماً كالخشخاش ونحوهِ لان المنوّمات سامَّة كلها وقد لا يظهر لها ضرر كبير في اقوياء البنية من الاطفال ولكنها تميت الضعاف او تسقمهم

والهز في السرير والتربيت باليد (اي الضرب باليد قليلاً قليلاً) غير لازمين لتنويم الطفل وهما يتعبانهِ ويتعبان امهُ

ولا يجوز ان ينام الطفل ليلاً في الثياب التي كانت عليهِ نهاراً لانها تكون مبلَّلة بعرقهِ ولا بثياب مبلَّلة مطلقاً بل تنزع عنهُ الثياب المبلَّلة وتنشر في مكان مطلق الهواء حتى تجف . وتكون ثيابهُ ليلاً في الشهر الاول مثل ثيابهِ نهاراً وبعد ذلك تخفَّف ثياب النوم حتى لا يبقى منها الاَّ قميص النوم

ولا يجوز ان ينام مع امهِ في فراش واحد بل يجب ان ينام في سريرهِ الخاص الاَّ اذا كان البرد شديداً فيكون الاصلح لهُ ان ينام معها في فراشها فيدفأ . هذا اذا لم تكن تستغرق في النوم فتقلب عليهِ او تغطي وجههُ فيختنق

وفراش الطفل يتبلل كثيراً فتفسد رائحتهُ ولذلك يجب ان يصنع من مادَّة رخيصة يمكن الاستغناء عنها وان يصنع لهُ فراشان حتى اذا تبلَّل احدهما وُضع لهُ الآخر . ومن ارخص المواد الطحلب الذي ينمو في بعض البلدان وليس لهُ ثمن اما في هذا القطر فالقش الناعم للفراش

الاسفل والقطن والصوف للاعلي . وقد يكون الصوف ارخص من القطن لان الصوف يغسل وينشر في الشمس فينظف

وحالما يخرج الطفل من سريرهِ تنزع الملاءات كلها منهُ وتنشر في الهواء حتى تنشف وتطيب رائحتها واذا غسلت تنشر مبلولة في مجرى الهواء لان البخار الذي يصعد عنها حينئذٍ يتكوَّن حال صعودهِ اوزون يزيل الفساد منها ويطيب رائحتها

ويجب ان يكون غطاءُ الطفل كافياً لتدفئتهِ لا يزيد على ذلك لئلاَّ يتعرَّض للزكام اذا برد . ومعلوم ان الطفل يقضي اكثر من نصف عمرهِ نائماً فيجب ان يستريح في نومهِ تمام الراحة من حيث لين الفراش وتمام الدفء . ولا بدَّ من الالتفات اليهِ من وقت الى آخر وهو نائم لئلاَّ يقع الغطاءُ عنهُ فيبرد او لئلاَّ يغطي فمهُ وانفهُ فيعيق تنفسهُ ويتعبهُ أو يخنقهُ

وقد يقلق الطفل ويمتنع نومهُ ويكون سبب ذلك برغوث او بقة . ومما يوقظهُ ويتعبهُ الاصوات الشديدة التي يسمعها بغتةً ويقال ان اطفالاً ضعفاءَ سمعوا صوتاً فجائياً قوياً فقتلهم . ولا يجوز رفع الطفل من سريرهِ بغتةً

ولا بدَّ من ان تكون الغرفة التي ينام فيها الطفل نقية الهواء مطلقةً واطلاق الهواء فيها لا يكلف شيئاً ولا بدَّ منهُ للطفل لان الهواء النقي لازم لهُ كما هو لازم للبالغين . ولا يجوز ان يوضع في مجري الهواء

باب الزراعة

الاعتناء بالحملان

حينما يقرب وقت ولادة النعاج يؤتى بها الى الحظيرة وتترك فيها وتراقب لئلاَّ تتعسَّر ولادتها والغالب انها لا تتعسَّر فتلد بالراحة ولكن اذا تعسَّرت وجب على الراعي ان يساعدها على استخراج الحمل . ومتى ولدت النعجة توضع هي وحملها في قسم خاص من الحظيرة ويقدَّم لها شيء من البرسيم او الدريس او نحوهما ويُعتنى بها كذلك ثلاثة ايام فقط . واما الحمل فيعتنى بهِ مدة اسبوع او اسبوعين ثم يترك مع امهِ ولا تحتاج النعجة ولا حملها عناية اخرى اذا كانت الولادة طبيعية والحمل طبيعياً في جسمهِ وخلقتهِ ولم يصب النعجة ولا حملها مرض على اثر الولادة ولا

قلَّ لبنها لسبب من الاسباب اما اذا حدث شيء من ذلك فلا بدَّ من ان يعتني بها وبهِ اعتناءً خاصًّا

وحينما يصير عمر الحملان بضعة ايام تشرع تأكل بعض الاوراق الطرية كاوراق الكرنب واوراق البرسيم فاذا اريد الاسراع في تسمينها لذبحها صغيرة وعمر الواحد منها عشرة اشهر يعتني بعلفها حتى يزيد الواحد منها نحو ربع رطل مصري كل يوم لانها تذبح وثقل الواحد منها ٢٥ اقَّة هذا اذا كانت من الغنم الكبير الحجم اما الغنم المصري فلا يبلغ هذا الثقل مهما كبر وسمن لان حجمهُ صغير طبعًا

ويحسن بكل من يربي المواشي ان يكون عندهُ ميزان او قبَّان يزنها بهِ يومًا بعد يوم حتى يثبت لهُ انها تزيد وزنًا ويعلم مقدار زيادتها والاَّ فان رآها لا تزيد او رآها تنقص ولم يرَ نقصًا في علفها ذبحها اذ لا فائدة من تعليفها وهي لا تزيد ثقلاً

ومتى صار عمر الحملان اسبوعين تطعم قليلاً من الرضَّة (النخالة) مع قليل من كسب بزر القطن وتوضع حيث تستطيع ان تصل الى العشب الاخضر او البرسيم وترعى ما يروق لها منهُ وتتبعها اماتها وتأكل ما بقي

ومتى بلغت الاسبوع العاشر او الثاني عشر من عمرها تفطم وتبعد عن اماتها وتنقل من مرعًى الى مرعًى وتطعم مع ما ترعاهُ علفًا يابسًا كالرضة (النخالة) وجريش الحبوب وكسب بزر القطن . ولا بدَّ من ان يكون الماء النقي قريبًا منها لتشرب وقتما تشاء ويكون على مقربة منها قطعة كبيرة من الملح لتلحسها كلما ارادت . ويجب ايضًا ان يكون لها مكان تستظلُّ فيهِ وقت حر النهار كشجرة غضَّة او خيمة او ما اشبه . والظل لازم للغنم ولكل المواشي ولا سيما في هذا القطر وهو الزم للخرفان الكبيرة منهُ للحملان

واهالي سورية يعلفون الحملان ولا يقتصرون على ما تأكلهُ بنفسها بل يطعمونها بايديهم ورق التوت وحدهُ او يضعون لها فيهِ حبوبًا مغذية مثل الكرسنَّة ونحوها فتسمن كثيرًا حتى لا تعود تستطيع المشي وهم في كل هذه المدة يعتنون بنظافتها فيغسلونها كل يوم مرةً او مرتين ويقصون صوفها حتى يسهل عليهم تنظيف بدنها وتقوم نساء الفلاحين الى تعليفها قبل الفجر فيبلغ وزن السمين منها اربعين اقةً او خمسين وقد يبلغ ستين اقة لكثرة العلف وقلة الحركة واذا ذُبح تجد هبرهُ ودهنهُ طريَّين جامدين يكادان ينكسران كسرًا لشدَّة جمودهما وطراءتهما. ولم نذق لحمًا اطيب من لحم الغنم المعلَّفة في جبال سورية . وتعليف الغنم والبقر موضوع كبير مهمٌّ جدًّا ولا بدَّ من ان نتوسَّع فيهِ في جزء تالٍ

الحشرات القشرية

كثيرًا ما نرى اغصان الاشجار وسوقها مغطاة بقشور صغيرة كالنمش اذا نزعتها وجدت تحت كل قشرة منها حيوانًا صغيرًا وقد يكون هذا الحيوان كبيرًا كالبق يظهر للعيان ويكون تحتهُ مادة بيضاء وهو اصفر اللون او برتقاليهُ . وانواع الحشرات القشرية كثيرة واشكالها مختلفة وكلها حيوانات دقيقة تمتص عصار الاشجار من قشورها واوراقها وقد تلصق بالاثمار ايضاً كما في انواع الليمون فتتلفها . فاذا كانت هذه الحشرات كبيرة كالتي اصابت اللبخ في الاسكندرية حديثاً فدواؤُها السائل الآتي

قلفونة	٣٠	رطلاً
صودا كاوي (فيهِ ٧٠ في المئة)	٩	ارطال
زيت السمك	٢	ارطال
ماء	٨٠٠	رطل

ضع القلفونة والصودا الكاوي وزيت السمك في اناء كبير وصب عليها نحو ٣٠٠ رطل من الماء واغلها على نار محتدمة نحو ثلاث ساعات ثم اضف اليها ماء سخناً قليلاً قليلاً وانت تحركها حتى يصير الماء الذي في الاناء اربع مئة رطل اي نصف الماء كلهِ وضع هذا المزيج في وعاء كبير لهُ مضخَّة واضف اليهِ بقية الماء البارد رويدًا رويدًا وانت تحرك المضخة حتى يمتزج الماء كلهُ ورش الاشجار بهذا الماء

وعندهم سائل آخر يستعملونهُ صيفاً حالما تولد الحشرات وهو مصنوع من ٤٠ رطلاً من البتروليوم ورطل وربع من الصابون وعشرين رطلاً من الماء . يذاب الصابون اولاً في الماء بعد اغلائهِ ويرفع المذوَّب عن النار ويضاف اليهِ البتروليوم رويدًا رويدًا ويمزج بهِ جيدًا وهو يحرَّك بعنف حتى يصير كاللبن . ويمزج الرطل من هذا المزيج بسبعة ارطال من الماء ويضاف اليهِ ثلث رطل من الصابون الذي اذيب بقليل من الماء الغالي . ترش الاشجار بهذا المزيج وحرارتهُ ١٤٠ درجة بميزان فارنهيت

اما اذا كانت الحشرات صغيرة والقشور تغطيها تماماً كما يرى في ضربة الليمون والزيتون والازدرخت وما شبه فانجع العلاجات فيها غاز الحامض الهيدروسيانيك ولكنهُ سام جدًّا لا يستطيع استعمالهُ الاَّ اصحاب البساتين الكبيرة الذين يقدرون ان ينفقوا نفقات طائلة على عمل الخيام التي تغطى بها الاشجار وقت استعمالهِ . وهو يستخرج بفعل الحامض الكبريتيك بسيانيد البوتاسيوم

ويختلف مقدار سيانيد البوتاسيوم والحامض الكبريتيك والماء حسب كبر الشجرة التي يراد تبخيرها بغاز الحامض الهيدروسيانيك كما ترى في هذا الجدول

ارتفاع الشجرة	قطر فروعها	الماء اللازم	الحامض الكبريتيك	سيانيد الوتاسيوم
٦ اقدام	٤ اقدام	اوقيتان	اوقية	اوقية
١٠ "	٨ "	٦ اواقي	٣ اواقي	٣ اواقي
١٢ قدماً	١٠ "	١٠ "	٥ "	٥ "
١٤ "	١٤ قدماً	١٦ اوقية	٨ "	٨ "
١٨ "	١٦ "	٢٠ "	١٠ "	١٠ "
٢٤ "	٢٠ "	٢٦ "	١٣ اوقية	١٣ اوقية
٣٠ "	٢٠ "	٢٨ "	١٤ "	١٤ "

وهذا الغاز سامٌ جدًّا لا يجوز لمستعمله ان يستنشقهُ مطلقًا فيقف في الجهة التي تهبُّ منها الريح لكي لا يصل اليهِ ولكن اذا بقي ضمن الخيمة برهةً وجيزة لا يعود سامًّا لان بخار الماء يمتصهُ

اما الخيام التي تحاط بها الاشجار وقت تبخيرها فتدهن بمادة تسدُّ مسامها وتمنع خروج الغاز منها واحسن مادة لذلك عصير قروط الصبر تقطَّع هذه القروط وتوضع في برميل كبير الى ثلثهِ ويملأ ماءً وبعد اربع وعشرين ساعة يصفَّى الماء ويذاب قليل من الغراء في الماء ويضاف اليهِ ما يكفي من الترابة الصفراء او الحمراء التي تستعمل في عمل الدهان ليشتد قوامهُ ثم يدهن بهِ نسيج الخيام من جانبيهِ

تسميد القطن

نقلاً عن مجلة نقابة اتحاد مزارعي القطن المصري

القطن نبات كثير الكلفة ينتزع من الارض جانباً عظيماً مما بها من مواد الخصب فلا بدَّ له من السماد الكثير وقد أجمع الناس اليوم على لزوم تسميد (أرض) القطن وأدنى فلاح لا ينكر تأثير السماد على القطن بالزيادة في المحصول ولم يكن الامر كذلك في جميع الازمان فان الفلاح المعتاد على تسميد الادرة (الذرة منذ الازمنة القديمة كان من منذ ثلاثين عاماً يعد من الجهل تسميد القطن ويعتبر من يشير بذلك جاهلاً لا يعوّل على قولهِ ولا يعبأ برأيهِ وقد فطن الى ضرورة هذه الطريقة وعمل بها اثنان من كبار الحكام لم يدرسا فن الزراعة

ولكنهما أُوتيا سعة العقل ونور الفكر ألاَ وهما دولتلو نوبار باشا في ابعاديتهِ الجميلة بشبرا ودولتلو رياض باشا في مزارعهِ التي ينسج على منوالها ويقتدى بها في محلة روح وبذلك زاد المحصول فبلغ بين ٨ و ٩ بل و ١٠ قناطير من الفدان أوجب ذلك تسبيخ القطن بسماد المزارع تدريجاً حتى أصبح اليوم اقل فلاح لا يتأخر عن ذلك متى كان لديهِ شيء فاضل عن الحاجة من السماد

ولقد كان اقتداء الناس بعمل هذين البطلين مفيداً جداً من حيث تجهيز السباخ فانهم كانوا فيما سبق يجهزونهُ بوضع كميات قليلة من الطمي تحت البهائم وكان السباخ الذي ينتج عن ذلك لا يلبث ان تزول خواصهُ اذا بقي معرضاً للهواء المطلق شهوراً ثم صاروا من بعد ذلك يزيدون الشرب حتى صار السباخ اطول بقاء

ولكن مهما اعتني بتجهيز السماد فلا ينكر ان ما يتحصل منهُ غير كاف لارض تزرع ادرة وقطنا معاً ويتعين اذن التدبر في شيء يتحصل منهُ على مواد الاخصاب وها هو قد انتشر سماد البراز بحيث كثيراً ما تصرف بعض المصالح فيهِ لغاية ٢٠٠٠ جنيه وبسبب ذلك بعد ان كان محصول القطن بين ٣ و ٣ ونصف من القناطير اصبح يبلغ ٦ و ٧ قناطير واول من عمل السباخ البرازي بمصر هو الموسيو سيكار الكيماوي الفاضل وكان ذلك قبل الآن بنحو خمسة عشر عاماً وقد جد كثيراً وبذل كثيراً ولكنهُ لم يلقَ لبضاعتهِ رواجاً بل قوبلت بالرد واعرض عنها المزارعون وانكروا فائدتها ولو ان فريقاً منهم اشتروا منها قليلاً ولكنهم أهملوهُ ولم يستعملوهُ وأقام المذكور سنوات واعواماً يكافح هذا الصد وذلك الاعراض حتى مات من اليأس اذ رأَي عملهُ لا نصيب لهُ غير التحقير فليس من العدل ان نبخل باحياء ذكرهِ بما هو أهله

وقد أحدث اقتداء الناس بكبار المزارعين في السباخ البرازي ما أحدثهُ من الاثر في سباخ البهائم وصار الاول اليوم سباخاً مطلوباً حينما مكنت طرق المواصلات من استجلابهِ بغير كبير نفقة في النقل واصبح محصول شركة (كيروسواج ترنسبور) غير قائم بايفاء الطلبات التي ترد عليهِ والدليل على ذلك تضاعف اثمانهِ ثلاثة اضعاف منذ ثلاث او اربع سنين وهذا ايضاً شاهد على تأثير الاسوة الحسنة التي كانت للمزارعين في مشاهير الرجال وهؤلاء واجب عليهم ان يبتكروا ما بهِ تتقدم الزراعة وعلى الناس ان يتبعوهم

هذا وان زراعة القطن يبلغ محصولها الآن في مصر اربعة قناطير من كل فدان وهذا يدل على انهُ باق فرق كبير حتى يبلغ معدل المحصول في بعض الجفالك اعني ٧ و ٨ و ٩ ولا تدرك هذه الغاية الأ باتقان تهيئة الارض وزيادة السباخ وحيث ان كثيراً من الابعاد لا يتحصل منها على سباخ كافٍ ومن جهة اخرى طرق النقل كثيرة الكلفة نظراً لثقل السباخ

في الوزن فيجب التدبر في طريقة ثالثة لايجاد المواد المخصبة ونعني بذلك السباخ الكيماوي فان المزارعين الاوربيين يستعملونهُ في مساحات كثيرة فتبلغ محصولاتهم في الزيادة حدًّا لم يعهد في مصر وحيث ان الاوربي معروف بالاقتصاد ومع ذلك نراهُ يبذل ماعز في شراء السباخ فلا بد ان يكون وجد فيهِ مزية وفائدة ومن جهة اخرى تزايد استخراج السباخ المعدني وتزايد استعمالهِ سنة عن سنة يدلان على ان في استعمالهِ فائدة

وان يكن هذا العمل مفيدًا في اوربا فلا أرى ما يستوجب القول بان الامر ينعكس فيهِ في مصر وخصوصاً في وقت احتياج الزراعة لباب يتحصل منهُ على سباخ كاف للزراعة القطنية وقد سار في هذا الطريق بالتوسع كثير من كبار المزارعين نخص بالذكر منهم سعادة بوغوص باشا نوبار وجناب برلس وزروداكي والكونت دي زغيب

وقد بيع في زراعة ١٩٠٠ — ١٩٠١ للمزارعين اكثر من ١٠٠٠ طنولاته من السيبر فوسفات والسكوريا ومئات كثيرة من الطنولاته من سلفات النشادر ونترات السوده الكيمنية وسلفات البوتاسه الخ وقد استعملت هذه المواد في زراعة القطن في الجهات التي كان سماد البهائم فيها غير كافٍ والذي يوضع في القطن ٣٠ طنولاته من السباخ ان كان من سماد المزارع فقط فان كان مختلطاً فيكفي ١٠ والتكملة تحصل من السباخ المعدني

وقبل الدخول في موضوع اختيار هذه الاسبخة وتقديرها كيماويًّا نرى من الضروري ان نجيب عن اعتراضين طالما اوردا وهما . هل تنتج عن استعمال السباخ الكيماوي زيادة في القطن تسد قيمة السباخ ويبقى بعدها ربح . والجواب عن ذلك نعم وقد جرب وليس في ذلك تردد فاني باستعمال السباخ الكيماوي زادت محصولاتي بين ١ و ٢ من القناطير ومن ذلك الوقت صار رجالي يوالون التردد عليَّ طالبين سباخاً كيماويًّا . واذكر ايضاً ان جناب الكونت دي زغيب تحصل من ابعاديتهِ التي ببلبيس ما بلغ ١١ قنطارًا عن كل فدان من مساحة قدرها ٤٨ فداناً . والاعتراض الثاني هو . ألا يتعقب استعمال السباخ الكيماوي خسة في نوع القطن . والجواب عن ذلك اني جربت ذلك تجريباً مدققاً وسأبدي نتيجتهُ في مقالة آتية

ي . اغاتون

فائدة البرسيم في تقوية الارض

اهم العناصر الغذائية في الارض عنصر يقال لهُ النيتروجين ولا بدَّ لكل نبات يزرع في الارض من ان يأخذ جانباً من نيتروجينها فاذا اخذ كثيرًا منهُ قيل انهُ يفقر الارض واذا

اخذ قليلاً قيل انهُ لا يفقرها واذا ردَّ الى الارض اكثر مما يأخذهُ منها قيل انهُ يفيد الارض ويقويها . وقد وُجد بالامتحان انهُ اذا زُرعت الارض ذرةً اخذت الذرة ٦١ رطلاً من النيتروجين من كل فدان منها واذا زرعت قطناً اخذ القطن ٥٩ رطلاً من كل فدان منها واذا زرعت شعيراً اخذ الشعير ٤٣ رطلاً من كل فدان منها . فالذرة تفقر الارض اكثر من غيرها من هذا القبيل ولهذا تحتاج ارض الذرة الى خدمة كثيرة وسماد كثير . والقطن يفقر الارض اقل من الذرة واكثر من الشعير . والشعير يفقر الارض اقل من القطن واكثر من القمح . والقمح يفقر الارض اقل من الجميع

اما البرسيم فقد قلعت جذورهُ التي تبقى في الارض وحُلّلت فوجد فيها ٦٥ رطلاً من النيتروجين في كل فدان هذا في غير القطر المصري اما في القطر فلا يبعد ان يوجد فيها اكثر من ذلك لان خصب البرسيم عظيم جدًّا في هذا القطر ولان حرارتهُ تساعد نمو الميكروبات التي تأخذ النيتروجين من الهواء وتخزنهُ في ثآليل الجذور ولذلك فزرع البرسيم في الارض يفيدها جدًّا ولا سيما اذا رعتهُ المواشي في ارضهِ او اذا قطع قبل ان يزهر ويبزر . ومما يجري مجرى البرسيم في افادة الارض الفول والترمس والعدس والحمص والحلبة

ري مصر والسودان

من الفيكونت كرومر الى مركيز لنسدون في ١٩ يونيو سنة ١٩٠١

أتشرَّف بان ارسل طيهُ التقرير الذي وضعهُ السر وليم جارستن وضمنهُ خلاصة ما يراهُ من امر البحر الابيض ونواصرهِ . ولهذا التقرير شأن كبير وفائدة عظيمة لان هذه اول مرة بحث فيها مهندس خبير بفن الهندسة المائية في اعالي النيل . وقد وصف في القسم الاول منهُ البحر الابيض وبحر الجبل وبحيرة نو وبحر الغزال وبحر الزراف والسُّبَّت . وفي القسم الثاني السد والطرق التي مُهِّد بها سبيل الملاحة في النهر. ثم انتقل الى مقدار الماء الذي ينصبُّ من النيل وهذه مسألة هامَّة جدًّا لان كل عمل كبير يراد الاخذ بهِ في المستقبل لاجل الري يُنظر فيهِ ولا بدَّ الى مقدار الماء الذي يمكن الاعتماد عليهِ . وما ذكرهُ السر وليم جارستن من هذا القبيل اتمُّ واصحُّ من كل ما ذُكر قبلهُ . والنتائج التي وصل اليها هي

اولاً . اذا طُهر بحر الجبل وازيل السد منهُ يبقى نحو نصف مائهِ ذاهباً ضياعاً في فصل الصيف لانهُ ينصبُّ في المستنقعات بين البور وبحيرة نو

ثانياً . ان بحر الغزال بمثابة خزان للماء لكنهُ لا يزيد الماء في البحر الابيض صيفاً ولا يزيدهُ

كثيرًا وقت الفيضان

ثالثًا . ان لنهر السبت شأنًا كبيرًا لانهُ ينصبُّ منهُ من شهر يونيو الى نوفمبر مقدار ما يرد من بحيرة فكتوريا و بحيرة البرت معًا . وينصب منهُ وقت التحاريق خمس ما ينصبُّ من البحر الابيض على الاقل

رابعًا . ان ايراد البحر الابيض عند الخرطوم قلما يزيد وقت الفيضان على ٤٥٠٠ متر مكعب في الثانية وقلما ينقص وقت التحاريق عن ٣٠٠ متر مكعب في الثانية

والى القسم الاخير من تقرير السر وليم جارستن احوّل التفات سيادتكم حيث يبحث عن الاساليب لاستخدام مياه النيل في المستقبل

وسنصل قريبًا الى ما يمكن ان يسمَّى بالدرجة التمهيدية لاستخدام ماء النيل كلهِ . وقبل الكلام على المستقبل اصف اعمال الماضي بالاختصار الاعمال التي بُذِلت العناية في اتمامها مدة سنين كثيرة

ففي ختام هذه السنة تكون الحكومة المصرية قد انفقت على اعمال الري والصرف اكثر من سبعة ملايين جنيه مبتدئة من سنة ١٨٨٥ وربَّ سائل يقول ماذا استفادتهُ مصر مقابل انفاق هذا المال الطائل

والجواب اولاً ان القناطر الخيرية التي انشأها مهندس فرنسوي ماهر اهتمَّ بها السر كولن سكوت مونكريف سنة ١٨٨٦ وانفق عليها ٤٦٥٠٠٠ جنيه فجعلها صالحة لما أُنشئت لهُ

ثم بني امامها حبسان أُنفق عليهما ٤٨٦٠٠٠ جنيه لكي تستطيع رفع الماء الكافي للري الصيفي

ونتج عن اصلاح هذه القناطر ان تضاعف محصول القطن في الوجه البحري اي ربحت البلاد خمسة ملايين جنيه كل سنة على الاقل . وقلَّ ما يلزم لتطهير الترع . اما الحبسان ففي السنة الماضية وهي الاولى بعد اتمامهما حفظا موسم القطن وقتما بلغ النيل من الهبوط ما لم يبلغهُ قبلاً

وثانيًا أُنفق ٦٧٣٠٠٠ جنيه على اعمال أُخرى مختلفة اهمها انشاء قناطر حوض قشيشة في الوجه القبلي والرياح التوفيقي لري القسم الشرقي من الوجه البحري . وقد استفادت البلاد من هذه الاعمال فوائد لا تقدَّر

وثالثًا أُنفق ٧٧٢٠٠٠ جنيه على الاعمال اللازمة لري الشراقي حينما يكون الفيضان واطئًا . وقد تمَّت هذه الاعمال الآن . وتظهر نتيجتها من انهُ لم يتخلَّف من الشراقي سنة ١٨٩٩

سوى ٢٦٤٠٠ فدان وقد تخلَّف سنة ١٨٧٧ التي كان فيضانها اعلى من فيضان سنة ١٨٩٩ اكثر من ٨٠٠٠٠٠ فدان

ورابعاً أُنفق نحو مليون جنيه على المصارف فصارت اراضي كثيرة تأْتي بجدول وافر بعد ان كانت سباخاً لا تصلح لشيءٍ وكانت الاموال الاميرية التي تتأَخر كل سنة كثيرة فلم يعد يتأخر الآن شيءٌ يذكر

وخامساً ان الخزَّانين الكبيرين في اصوان واسيوط اللذين رسمهما المستر ولكوكس يرجح ان يتما ويصيرا صالحين للاستعمال في الصيف التالي وستبلغ نفقاتهما نحو ٣٠٠٠٠٠٠ جنيه

وخزَّان اصوان يخزن بهِ الماءُ بعد ما ينتهي زمن الفيضان فيمدُّ بهِ النيل في الصيف ويُستخدَم جانب كبير من هذا الماء المخزون لاراضي الحياض في المنطقة المتوسطة فان لهذه الاراضي محصولاً واحداً الآن لانها تزرع نيلياً فقط اما في المستقبل فيصير لها محصولان اي انها تصير تزرع نيلياً وصيفياً. وتوضع الآلات الرافعة فيتَّسع بها نطاق زراعة القصب. ويحيا كثير من الارض الموات في الفيوم والوجه البحري

وخزان اسيوط يرفع منسوب الماء فتجري الزيادة في الترعة الابرهيمية وعليها الاعتماد في تحويل ري الحياض الى ري صيفي ويزيد الماءُ في بحر يوسف الذي تروى منهُ مديرية الفيوم

وقد انفق ٦٦٣٠٠٠ جنيه فوق الثلاثة ملايين الجنيه لاجل انشاء الترع والمباني اللازمة لتحويل ري الحياض الى ري صيفي

وقد ابتدأَ العمل في قناطر زفتة والمرجح انها تتم سنة ١٩٠٢ وتقدَّر نفقاتها ٤٥٠٠٠٠ جنيه وهي تفيد الجزء الشمالي من الوجه البحري كما استفاد الجزءُ الجنوبي من القناطر الخيرية فتقسم الترعة من الترع الكبيرة التي طول بعضها مئة ميل الى قسمين كل قسم منها يأْخذ الماء من فوق قناطرهِ فيسهل توزيع الماء كثيراً بسبب ذلك

وحينما تنتهي هذه السنة تكون الاعمال المشار اليها آنفاً قد تمَّت كلها او قاربت التمام. ويلزم لاتمام قناطر زفتة ٤٢٠٠٠ جنيه ولاتمام الاعمال اللازمة للري في الوجه القبلي بعد بناء الخزان ٤٠٠٠٠ جنيه عدا ما يلزم لاتمام الخزان. ويحسن ان ينفق ايضاً مبلغ ٤٠٠٠٠٠ جنيه على المصارف والجملة ١٢٢٠٠٠٠ جنيه

ولا صعوبة في اخذ المال اللازم لقناطر زفتة واعمال الري من المال الاحتياطي العمومي في مدة سنتين او ثلاث. واعمال المصارف يمكن تمديدها على عدة سنوات

ولذلك قد حان الوقت للنظر في امر النيل في البلاد الخارجة عن القطر المصري

والمشروعات التي يمكن ان يعمل بها . وغنيٌّ عن البيان انهُ لا بدَّ من البحث الدقيق في هذه المشروعات قبل الاقرار على شيءٍ نظرًا الى ما يمكن ان ينتج عنها من النفع الكبير او الضرر الكثير ولعظم النفقات التي تقتضيها

كل من ينظر الى خريطة افريقية يرى ان بحيرة فكتوريا وبحيرة البرت هما خزَّانا البحر الابيض كما ان بحيرة صنا في بلاد الحبش هي خزَّان البحر الازرق . ولكن الفرق كبير بين ما يراهُ المرءُ من غير بحث ولا روية وبين ما يصل اليهِ بعد البحث والتنقيب . وقد وقف السر وليم جارستن نفسهُ للبحث في هذا الموضوع مدة السنوات الثلاث الاخيرة ويستطيع الآن ان يظهر النتيجة التي اوصلهُ اليها درسهُ وبحثهُ . ولا يستطيع حتى الآن ان يشير بامر قطعي ولكنهُ ابان الطرق التي تفيد زيادة البحث فيها . واثبت مزية بعض الاساليب على البعض الآخر

ولا بدَّ للحكومة المصرية من ان تسترشد بآراء مشيريها في امر مثل هذا . ولا احسن لها من اتباع مشورة السر وليم جارستن فانهُ ادار اعمال الري مدة سنوات كثيرة — الاعمال التي رقَّت مصر من حال الإفلاس الى حال لا يكاد يوجد لها مثيل في النجاح . ولا اعلم انهُ اخطأَ في امر واحد رغماً عن المصاعب الفنيَّة الكثيرة التي حلَّها الماجور برون والمستر وب وغيرهما من رجالهِ الاكفاء . والمعلومات التي عندهُ الآن تمكنهُ من ان يتكلَّم عن كل ما يتعلق بالنيل كلام الثقة الخبير

ولا بدَّ من ان تدور المناقشة في تقرير السر وليم جارستن بعد نشرهِ وستكون هذه المناقشة مفيدة جدًّا . ويجب ان لا يبرح من الاذهان ان المعلومات الكاملة التي لا يستطيع المهندس الثقة ان يبني حكمهُ الاَّ عليها لا تزال غير موجودة وانهُ ما دامت هذه المعلومات غير موجودة على اسلوب يرضي السر وليم جارستن فلا يحتمل ان يقرَّ القرار على شيءٍ من هذا القبيل

وكثير من الادلَّة التي اقامها السر وليم جارستن واضح حتى لغير العارفين بالمسائل الهندسية وهي تظهر لي مقنعة تمام الاقناع من حيث الاسلوب الذي اختارهُ بنوع عام

ستأتي البقية

موسم القطن

وردت الاخبار ان موسم اميركا ليس على ما يرام فان القيظ الشديد اضرَّ بهِ ثم وقع مطر غزير في بعض الاماكن فاضرَّ بهِ ايضاً ونحن نكتب هذه السطور وثمن القطن الاميركاني آخذ في التحسُّن . اما القطن المصري فموسمهُ جيد جدًّا على ما يظهر حتى الآن واسعار الكنترانات حين كتابة هذه السطور في ٢٢ اغسطس تسعة ريالات و٨/٧ الريال لنوفمبر و ١٠ ريالات لمارس ويباع القطن الجديد بنحو ٢٣٠ غرشاً

باب التقريظ والانتقاد

كتاب حقوق الملل ومعاهدات الدول

الَّف هذا الكتاب جناب الامير امين ارسلان قنصل جنرال الدولة العلية في بروكسل المعروف في هذا القطر برسائلهِ التي كان يكاتب بها المقطم . قال في مقدَّمتهِ انهُ رأَى حاجة اللغة العربية الى كتاب في السياسة يبحث في حقوق الملل ومعاهدات الدول مما احدثهُ التمدُّن الحديث ولا يليق بامَّة متمدنة ان تجهلهُ فعمد الى تأْليف كتاب في هذا الموضوع اعتمد فيهِ على ثقات فلاسفة العمران وخيرة علماء السياسة وقسمهُ اربعة اقسام رابعها في الاختلافات وطرق صلحها والحرب برًّا وبحرًا . وبادر الى نشر هذا القسم اولاً لحدوث الحرب بين انكلترا والترانسفال ولهج الجرائد بذكر اسبابها واختلاف الاقوال في شرعيتها فنشرهُ فصولاً متوالية في مجلة الهلال الغراء . وقد جُمعت هذه الفصول الآن ونشرت في كتاب واحد فيهِ ١٣٠ صفحة كبيرة احسن المؤلف في رصفها وتفصيلها حتى لا يكاد يخطر موضوع بالبال مما يتعلق بحقوق المتحاربين وغيرهما من الملل التي يمسها حربهما الاَّ وفيهِ كلام مسهب او موجز . وحبذا لو اسند بعض ما ذكرهُ الى المصادر التي اخذ عنها ولا سيما القضايا الخطيرة حتى تقوى ثقة الكتَّاب على الاستشهاد بها كقولهِ في الصفحة ٩ "ومن غريب التلاعب السياسي انهُ قبل ان شبَّت الحرب (بين روسيا والدولة العلية) طلب صفوت باشا من الدول الاوربية وساطتها وفقًا للبند الثامن من معاهدة باريس فاعارت الدول اذنًا صمَّاء واجابت انها تبقى على الحياد مما يدلُّ على ان السياسيين لا يخافون منكرًا عند غاياتهم السياسية ولا يحترمون معاهدة ولا توقيعًا" . ولعلَّهُ كتب ذلك قبل ان انتظم في سلك السياسيين . وقد اوضح كثيرًا مما ذكرهُ بامثلة قديمة وبعضهُ بامثلة حديثة مألوفة . والظاهر ان اكثر نقلهِ عن المصادر الفرنسوية او ما يماثلها كقولهِ في الكلام على عدالة الحرب "واي شاهد لدينا اعظم من حرب الترانسفال الحاضرة فان انكلترا هي التي رغبت بها وما زالت تتحرَّش بالترانسفال حتى اضطرتهم اخيرًا الى اشهارها ولما طلب كروجر وستاين السلم من اللورد سالسبري كان جوابهُ انهما البادئان بالعدوان ... فتأَمل" . ونحن نكرّر كلمة "تأَمل" مرارًا بدليل ما ظهر من استعداد انكلترا لهذه الحرب وعدم استعداد الترانسفال التي على صغرها حاربت مئتين وخمسين الفًا من الجنود البريطانية سنتين ولم تنفد ميرتها ! . ولكن قضي على الشرقيين ان يشربوا كراهة الانكليز مع اللبن بما يُنقَل الى لغتهم وينشر في

جرائدهم حتى يستحكم النفور في النفوس وتشتد الضغائن ويخسر الشرقيُّون عند كل احتكاك كما يخسر كل ضعيف احتكَّ بقوي

وثمن النسخة من هذا الكتاب خمسة غروش وهو يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

الكوخ الهندي

رواية فلسفية من تأليف الكاتب الشهير برناردين دي سان بيير. يقال ان نبوليون الاول كان شديد الاعجاب بها حتى انهُ كان كلما لقي برناردين مؤلفها يقول لهُ متى تكتب لنا كوخاً هندياً آخر. نقلها الى العربية حضرة رصيفنا الفاضل فرح افندي انطون منشىء مجلّة الجامعة الغراء ونشرها فيها فصولاً متوالية ثم نشرها في كتاب على حدتهِ وقدَّم لها مقدمة مسهبة ذكر فيها ترجمة المؤَلف ويؤْخذ منها انهُ كان فقيراً قبلما ظهرت نفثات اقلامهِ وقابلتها الامة الفرنسوية بالثناء والمال. والثناء بلا مال ”قلما يجدي نفعاً فسعى لهُ رئيس اساقفة اكس فمنحتهُ الحكومة راتباً قدرهُ الف فرنك وعينت لهُ احدى الجرائد ٦٠٠ فرنك والدوق دورليان ٨٠٠ فرنك واحد اقلام الحكومة الف فرنك وربح من كتبهِ اول مرة ستة آلاف فرنك فاكتفى واستطاع التفرُّغ للتأليف“. ثم قال المعرب ان خيرة كتبهِ الكوخ الهندي وبولس وفرجيني ووعد بترجمة الكتاب الثاني الى العربية. ونرجح اننا قرأنا هذا الكتاب فيها منذ بضع وعشرين سنة فلا يتعب بترجمتهِ. اما رواية الكوخ الهندي فالظاهر ان حضرة المعرب اختصرها لانها لا تزيد على ٧٨ صفحة صغيرة لكنهُ ابقى على كل ما فيها من الفوائد الادبية والاجتماعية

مجلة

نقابة اتحاد مزارعي القطر المصري

يظهر لنا ان الجمعية الزراعية الخديوية دعت الى انشاء جمعية اخرى زراعية جعلت عنوانها ”نقابة اتحاد مزارعي مصر“ وقالت ان من مواضيعها رعاية صالح الفلاحة المصرية من الوجهتين الاقتصادية والعمومية وبث فن الزراعة وما يرتبط بهِ من العلوم الاخرى خصوصاً ما تعلق منها بالطرق العقلية التي يجوز ان تتبع في الزراعة المصرية. وقد اصدرت هذه النقابة مجلة زراعية رأينا منها النسخة العربية فوجدناها كثيرة المواضيع المفيدة حسنة الانشاء يكتب مقالاتها رجال اكفاءٌ في المواضيع التي يكتبون فيها ثم تفرغ في قالب عربي كما يرى في المقالة التي نقلناها عنها في باب الزراعة وموضوعها تسميد القطن. فنتمنَّى لهذه الجمعية ولهذه المجلة تمام النجاح

غادة كربلاء

رواية تاريخية غرامية وهي الحلقة الخامسة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام التي وضعها حضرة رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان منشىء مجلة الهلال الغراء تتضمن ولاية يزيد بن معاوية وما جرى فيها من الحوادث الفظيعة وافظعها مقتل الامام الحسين واهل بيتهِ في سهل كربلاء . واكثر ما ورد فيها من الحوادث مسند الى من ذكرهُ من كتَّاب العرب كابن الاثير والمسعودي والفخري والدميري . وقد نشرت تباعًا في مجلة الهلال ثم نشرت على حدة في كتاب كبير فيهِ ٢٢٤ صفحة وُوعد حضرة المؤلف بان يتبعها بالحلقة السادسة ويختار لها اهم نقط التاريخ التي عقبت موت يزيد . وثمنها عشرة غروش صاغ وتطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

مفتاح المحادثة

في اللغتين العربية والبرازيلية

قضي على ابناء سورية ان يتفرقوا تحت كل كوكب فاضطرهم الاغتراب الى تعلُّم لغات الاقوام الذين نزلوا بينهم حتى اللغة البرازيلية . والظاهر ان المهاجرة الى برازيل آخذة في الازدياد فقد وضع احدهم الاديب يوسف افندي لطفي كتابًا مختصرًا لتعلُّم اللغة البرازيلية حتى يذهب ابناء سورية الى تلك البلاد ولهم المام بلغة اهلها وهو كلمات وجمَل مكتوبة بحروف رومانية وعربية ومترجمة بالعربية . وجانب من الكلمات مرتب على حروف المعجم وجانب حسب المواضيع المختلفة . والجمل ممَّا يضطر الى معرفتهِ المهاجرون الى تلك البلاد . والكتاب يطلب من حضرة مؤلفهِ في بيروت وثمنهُ فرنكان

نبذة في الملاريا

انشأ هذه النبذة صديقنا الفاضل الدكتور بشاره منسَّي بيَّن فيها السبب الحقيقي لانتشار هذه الحمَّى وهو البعوض المعروف بالانوفلس الذي ينقل العدوى من المصاب الى السليم على ما اكتشفهُ العلماء حديثًا وما ذكرناهُ مرارًا في المقتطف . وقد رسم فيها هذا البعوض حتى يظهر الفرق بينهُ وبين البعوض العادي . وذكر اعراض الحمي الملارية وطرق علاجها بالتفصيل . ولا شبهة في ان اتقاء الامراض مقدَّم على علاجها والناس يتعلمون طرق الاتقاء بنشر المقالات والكراريس التي ترشدهم الى اسباب الامراض وكيفية توقّيها

بابُ المسائِلِ

(١) زمن خلق آدم

جكسن بولاية مسوري باميركا . الخواجه رشيد ابو ريحان . كم سنة من حين خلق الله آدم الى الآن

ج يُرى في حواشي التوراة العربية المطبوعة في المطبعة الاميركية في بيروت ان خلْق آدم كان قبل التاريخ المسيحي باربعة آلاف واربع سنوات تبعاً لحساب رئيس الاساقفة اشر . ومن التاريخ المسيحي الى الآن ١٩٠١ فالجملة ٥٩٠٥ سنوات . والقسم الثاني من هذا التاريخ اي من بداءة التاريخ المسيحي الى الآن مدقق نوعاً واما القسم الاول ففيهِ اختلاف كثير فان اليهود يجعلونهُ ٣٩٩٢ سنة والسمرة ٣٢٩٣ سنة والتوراة السبعينيَّة ٥٢٢٨ سنة . ومن المؤكد الآن ان عمران بابل ومصر ابتدأ قبل المسيح باكثر من اربعة آلاف سنة وفي آثار الانسان بقايا كثيرة تدلُّ على انهُ عمَّر المسكونة قبل المسيح باكثر من ثمانية آلاف سنة وانهُ وُجد فيها قبل ذلك بالوف كثيرة من السنين . ولا يطمع العلماء ان يحلُّوا مسألتكم حلاً علميًّا مدققاً

(٢) امرأة قايين

ومنهُ . من هي امرأة قايين وما هي البلاد التي توجَّه اليها

ج هاتان المسألتان من المسائل الكثيرة التي بذل الشرَّاح جهدهم في تفسيرها فلم يرووا غليلاً . وذهب البعض منهم الى ان آدم فرد من افراد الناس او جدُّ القبيلة التي منها اليهود وان الارض كانت معمورة قبلهُ بامم كثيرة فيسهل مع هذا الزعم تفسير زواج قايين بامرأة غير اختهِ وقولهِ كل من وجدني يقتلني ولكن تقوم مصاعب اخرى يتعذَّر حلها اذا فُهم الكتاب على ظاهرهِ

(٣) زرع الكستنا

برج صافيتا سورية . ميخائيل افندي بشور . اي ارض تصلح لزرع الكستنا وفي اي وقت تزرع وما هي طرق خدمتها

ج كل اراضيكم الجبلية تصلح لزرع الكستنا لانهُ يجود في الاراضي الخفيفة التي اسافلها جافَّة اي ليست سبخة ولكن اقليمكم لا يصلح لهُ لانهُ حارٌّ نوعاً وهو يجود في الاقاليم الباردة كاواسط اوربا او الجبال الباردة ولو كانت في اقليم حارٍّ نوعاً كاقليمكم . ويزرع في اوائل فصل الشتاء في اتلام البعد بين التلم والذي يليهِ قدم ونصف وبين البزرة والتي تليها ربع قدم وتطمر البزور بالتراب حتى يعلو عليها نحو اربع سنتمترات . وحينما يصير عمر النبات سنتين يقلع وتقص رؤُوس جذورهُ

ويزرع صفوفاً والبعد بين كل صف وما يليهِ نصف قدم وبين كل نبتة والتي تليها نصف قدم ايضاً لكي تنمو مستقيمة حتى اذا مرَّ عليها سنتان في هذه الصفوف يصير ارتفاع كل نبتة نحو ثلاث اقدام فتقلع وتزرع في الاماكن التي يراد ان تستقر فيها . وهي تنقل من اواخر الخريف الى اوائل الربيع . والكستنا التي ترسل الى بلادنا تجفَّف في فرن غالباً قبل ارسالها تسهيلاً لنقلها فلا ينبت منها الاَّ القليل ولذلك يجب على الذين يريدون زرع الكستنا ان يجلبوها من بلادها غير مجففة او يكتفوا بالقليل الذي نبت منها . وقد زرعنا بزورها في بيروت فلم ينبت منها الاَّ واحدة ورأينا منها اشجاراً نامية في برمانا بلبنان . ثم ان الكستنا اصناف مختلفة فتطعَّم بعد ان تكبر باجود اصنافها

(٤) تلميع الثياب المكواة

بغداد . داود افندي فتو . ما هو المركَّب الذي يستعملهُ الافرنج عند كيّ قمصان الكتان حتى يظهر لها لمعان كثيرة . وقد اخبرنا بعض الذين زاروا البلاد المصرية ان في مصر اناساً يكوون الثياب بعد ان يضيفوا الى النشا مركباً ابيض فتظهر لامعة كالتي تأْتي من أُوربا

ج ان المركَّب الذي تلمع بهِ الثياب المنشاة مؤلف من عشرين درهماً من السبرمشيتي وعشرين درهماً من الصمغ العربي وعشرين درهماً من البورق و ٥٠ درهماً من الغليسرين ومئتي درهم من الماء . تضاف اربع ملاعق من هذا المزيج الى خمسين درهماً من النشا ويستعمل النشا مغلياً . والذين يكوون لنا في مصر يقولون ان عندهم مكواة محنيَّة من اسفلها كالقوس فيدعكون بها الثياب المنشاة مراراً حتى تلمع اما النشا فيضيفون اليهِ البورق Borax لا غير هكذا : يأْخذون اوقية من البورق لكل رطل من النشا ويذيبون البورق بقليل من الماء على النار ويمزجون النشاء بقليل من الماء ويعجنونهُ بهِ جيداً ثم يضيفون اليهِ مذوَّب البورق ويمزجونهُ بهِ ويضيفون اليهِ ماء رويداً رويداً وهم يدعكونهُ حتى يصير كاللبن الحليب فيغطون الثياب فيهِ ويدعكونها جيداً ثم يكوونها

(٥) كتب اليهود

دمشق الشام . السيد عبد الجليل القصري . رأَيت في بعض الكتب الحديثة يقول جامعها "وعندي الآن مكتبة على حدة مملوءة من كتب اهل الكتابين" اما كتب النصارى فلا نزال نراها منتشرة متنوعة الاساليب في فنون شتى والى الآن لم نرَ من كتب اليهود مصنفات كذلك . فاذا كنتم اطَّلعتم عليها فما هي وما اسماءُ النفيس منها

ج لم نطَّلع على غير التوراة من كتب اليهود وتاريخ يوسيفوس . وعندهم كتب كثيرة من نوع التفاسير والاحاديث

والتواريخ والقواميس وكتب الشعر والطب والفلسفة كالمشنى او المثنى (ويقال ان كلمة مثاني العربية منهُ) وقد نقحهُ اخيرًا يهوذا الحنسي في مدرسة طبرية سنة ٢٢٠ للميلاد وهو ست اقسام او صُدَر الاول في الزراعة والثاني في الاعياد والثالث في النساء والزواج والطلاق والرابع في الجرائم وفيهِ قوانين الشرائع المدنية والجزائية والخامس في المقادس والذبائح والسادس في الطهارات والنجاسات

والجمار او هو شرح المثنى . والتلمود وهو نوعان الغربي الذي أُلِف في طبرية والبابلي الذي أُلّف في بابل . والاول شرح وحواش للاقسام الخمسة الاولى من المثنى بدئ بجمعهِ في مدرسة يوحنان بطبرية سنة ٢٧٩ للميلاد وتمّ على ما يرجح في آخر القرن الرابع اما البابلي فلم يتم جمعهُ حتى اواخر القرن الخامس وجامعهُ ربي اشا رئيس مدرسة صورا في بابل جمعهُ في ثلاثين سنة وكان يعاونهُ في مقابلتهِ وتنقيحهِ عشرة كتَّاب . وقد ضاع جانب من هذا الكتاب الآن والموجود منهُ يملأ ٢٩٤٧ صفحة كبيرة مما قطعهُ مضاعف قطع المقتطف

هذا من حيث الكتب القديمة اما الحديثة فكثيرة جدًا لأن لليهود مقامًا رفيعًا بين علماء اوربا في كل العلوم العقلية والنقلية واكثر اساتذة المدارس الكبرى في المانيا وفرنسا يهود او من اصل يهودي ومنهم نيندر المؤرخ وويل وبنفي واوبر اللغويون وڤالنتين الفسيولوجي ومن الاسماء المشهورة عند قرَّاء المقتطف دارمستاتر وسلفستر وملدولا ومنهم كثيرون من كبار الموسيقيين والمصورين والنقاشين فضلاً عن رجال المالية

وقد شرع احد علماء اليهود الآن في جمع انسكلوبيذيا كبيرة سمَّاها الانسكلوبيذيا اليهودية في اثني عشر مجلدًا كبيرًا واخذ في طبعها ونشرها بيت اميركي اسمهُ فنك ووغنولس Funk and Wagnalls وستبلغ نفقات تأليفها وطبعها مئة وعشرين الف جنيه واسم المؤلف الاول الدكتور ايسيدور سنجر يساعدهُ اكثر من اربع مئة من العلماء وسيكون في هذا الكتاب ثمانية آلاف صفحة والفا صورة وبعضها ملوَّن

(٦) التحنيط

سنورس . عزيز افندي ابرهيم . قرأت في احد الكتب التاريخية الانكليزية ان التحنيط عند المصريين القدماء كان كما يأتي : يحشى الرأس بالعقاقير الطبية والبهارات ويشوى الجسم كلهُ ويوضع في محلول ملح البارود مدة سبعين يومًا ثم يربط ربطًا وثيقًا بعصابات كتانية مصمغة ومعطرة . وقرأت ايضًا في بعض المجلات العربية عن مواد أُخرى للتحنيط وان عند الايطاليين مواد تحفظ الجسم قرونًا كثيرة صلبًا كالحجر فهل ذلك كلهُ صحيح وان كان صحيحًا فلماذا بطلت

عادة التحنيط الآن

ج اكثر ما تقدَّم صحيح وسننشر مقالة مسهبة عن التحنيط في جزءٍ تالٍ . وقد قلَّ استعمال التحنيط الآن اذ لا داعي لهُ فان قدماء المصريين كانوا يحنطون موتاهم لسبب ديني اما الآن فلم يعد الناس يعتقدون اعتقادهم فزال هذا السبب

(٧) شجر التالبوت

ومنهُ . ما هي شجرة التالبوت التي توجد في سيلان

ج هي شجرة من فصيلة النخل تصنع من سعوفها المراوح ونوع من الورق

(٨) انتخاب رئيس الولايات المتحدة

ومنهُ . نرجوان تشرحوا لنا كيفية انتخاب رئيس الولايات المتحدة الاميركية وكيف يتفق سكان نيوهمشير مثلاً التي هي في الشمال الشرقي مع سكان كاليفورنيا التي هي في الجنوب الغربي على شخص واحد ربما يكون من اواسط الولايات ولا معرفة لاحدها بهِ

ج ان الذين ينتخبون الرئيس هم المنتخَبون لا اهالي البلاد كلهم وعدد هؤُلاء المنتخبين في كل ولاية بقدر عدد نوابها في مجلس النواب ومجلس الشيوخ وينتخبهم كل الذين لهم حق بالانتخاب في ولايتهم وهم كل بالغ عمرهُ اكثر من ٢١ سنة . ويجتمع منتخبو كل ولاية يوم الاربعاء الاول من شهر دسمبر ويصوّت كلٌّ منهم لمن يختارهُ رئيساً (ولا داعي لان يعرفهُ شخصياً لان الجرائد تكون قد ذكرت المرشحين واطنب كل حزبٍ في فضائل مرشحهِ وجال المرشح وانصارهُ في الولايات يرغّبون الناس فيهِ) وتجمع اصواتهم ويكتب منها ثلاث نسخ ترسل نسخة منها الى نائب الرئيس في مركز الحكومة واذا لم يوجد فالى ناظر الداخلية ونسخة الى رئيس مجلس الشيوخ ونسخة الى قاضي الجهة التي اجتمع فيها المنتخبون. ثم يجتمع مجلس النوَّاب يوم الاربعاء الثاني من شهر فبراير وتفتح حينئذٍ نسخ الانتخاب وتُعدّ الاصوات . ويجري ذلك في انتخاب الرئيس ونائبهِ ويجب ان يكون عمر كلٍّ منهما ٣٥ سنة على الاقل وان يكون مولوداً في الولايات المتحدة

(٩) المبارزة

ومنهُ . هل تسمح الحكومات الاوربية بالمبارزة ولماذا لا تعدها مخالفةً للقانون اذ يُعدم الواحد حياة الآخر على مشهد من الناس

ج لا يمنع المبارزة منعاً قانونياً الآن الاَّ انكلترا وتمنعها المانيا ايضاً على غير الجنود وهي ممنوعة من فرنسا لا بقانون خاص بل بالقانون العام اي يعاقب من يجرح غيرهُ او يقتلهُ من المتبارزين كما يعاقب من اعتدى على غيرهِ فجرحهُ او قتلهُ ويعاقب شهودهُ كمشاركين لهُ في الجناية . والدول الاوربية التي تغضُّ الطرف عنها لا تعدها مخالفة للقانون لانها لم تمنعها بقانون حتى الآن

باب الاخبار العلمية

مؤتمر السل وعدواهُ

اللورد لستر

الدكتور كوخ

افتتحنا هذا الجزء بخطبة الدكتور كوخ التي اقامت علماء الطب واقعدتهم وشغلت افكار رجال السياسة لئلاَّ يكون كل ما يعانونهُ في فحص اللحم واللبن عناء فارغاً وتضييقاً لا موجب لهُ. واتبعنا هذه الخطبة بما وصل الينا يوم نشرها من كلام اللورد لستر الذي كان في كرسي الرئاسة وقتما القى الدكتور كوخ خطبتهُ. ثم اطَّلعنا على كلام اللورد لستر كلهِ الذي عقَّب بهِ على الخطبة فاذا هو يعترض على الدكتور كوخ بان لقاح الجدري قلما يفعل بالبقر اذا أُخذ من البشر ولكن لقاح جدري البقر يفعل بالبشر. فاذا لم يفعل سل البشر بالبقر فمن المحتمل ان يكون سبيلهُ كسبيل جدري البشر الذي لا يفعل بالبقر وان يكون سل البقر فعَّالاً بالبشر كما يفعل جدري البقر بالبشر. وقال ان الدكتور منكتون كوبمان لما عجز عن نقل جدري البشر الى البقر نقلهُ اولاً الى القرد ثم نقلهُ من القرود الى البقر ففعل بها . ويظهر لنا انهُ اذا جرى ميكروب السل مجرى عدوى الجدري تماماً فانتقل من البقر الى البشر بالتطعيم فلا يبعد ان يفيد البشر وقاية من السل كما يفيدها طعم الجدري البقري وقايةً من الجدري البشري

وانتقد اللورد لستر الدليل السلبي الذي جاء بهِ الدكتور كوخ لتأييد مذهبهِ وهو قلَّة آثار السل المعوي في الاطفال مع كثرة ما يبتلعونهُ من ميكروب السل مع اللبن الذي يشربونهُ بان السل الماسيريقي غير قليل في الاطفال

وهو يدل على ان ميكروب السل خرق اغشية الامعاء المخاطية من غير ان يبقي فيها عاهةً ظاهرة واستقرَّ في الغدد الماسيريقية كما يخرق ميكروب التيفويد الغشاء المعوي المخاطي احياناً من غير ان يبقي فيهِ عاهةً ظاهرة . وما يحدث في التيفويد لا يبعد حدوثهُ في السل وان صحَّ ذلك بطل اقوى دليلٍ من ادلَّة كوخ . اما ما ذكرهُ كوخ من انهُ طعَّم العجول من مواد مأخوذة من غدد الاطفال المصابين بالسل فلم تصب بهِ فالتجارب التي اجراها من هذا القبيل قليلة كما قال لا يبنى عليها حكم . ويحتمل ان يتنوَّع ميكروب السل بدخولهِ جسم الانسان ولو كان اصلهُ من البقر

هذه خلاصة ما ذكرهُ اللورد لستر معترضاً على الدكتور كوخ . وكل ما اعترض بهِ غيرهُ في المؤتمر لا يخرج عن ذلك

ولما وصل كلام الدكتور كوخ الى المانيا سئل عنهُ الدكتور هبنر والدكتور فركو الشهيران فقال الاول انهُ يوافق الدكتور كوخ في ما قالهُ عن عدم انتقال السل بالوراثة لان اختبارهُ كلهُ مؤيد لذلك ويوافقهُ ايضاً في ان انتقال السل من البقر الى البشر قليل جدًّا ولكن لم يُحكَم الحكم البات في المسألتين حتى الآن. وقال الثاني اني ناقضت القائلين بانتقال السل بالوراثة منذ سنين كثيرة ولكني لا اوافق كوخ بنوع عام لانهُ لم يعبأ بما اثبتتهُ اللجنة الصحية التي عينتها حكومة الدنمارك فانها جعلت مدار بحثها على سل البقل وكيفية انتقالهِ الى البشر واثبتت انتقالهُ بعد بحث مدقق . وعلى نتائج بحثها بُنيت اوامر الكورنتينا المشددة . ولما كانت النتائج التي وصلت اليها تلك اللجنة مخالفة للنتيجة التي وصل اليها الاستاذ كوخ فالمسألة باقية في حيز البحث والنظر

ملك الانكليز ومؤتمر السل

لما مثُل اعضاء مؤتمر السل لدى جلالة ملك الانكليز خاطبهم بما يأتي

" ايها السادة سررتُ جدًّا بدعوتكم الى هنا اليوم وانما انا آسف لانكم وصلتم في هذه العاصفة ولقد منعتني امور لا سلطة لي عليها عن ان افتتح مؤتمركم العظيم بنفسي واحضر جلساتهِ ولكني أؤَكد لكم انني كنت مهتمًّا بكل ما قلتموهُ شديد الاهتمام ولو تعذَّر عليَّ الحضور معكم وقد كنت اطالع خطبكم في الجرائد اليومية واقف على كل مباحثاتكم . ولا داء ارهب من السل وارجو واثق انكم تخففون وطأتهُ فتكسبون الشكر من العالم كلهِ . وهناك داء آخر عجز عنهُ العلماء والاطباء حتى الآن وهو السرطان قدَّركم الله على اكتشاف دواء لهُ بعد عهد غير بعيد والذي يكتشف هذا الدواء يستحق ان يقام لهُ تمثال في كل العواصم

هذا وارجو ان اقامتكم في لندن وفي

انكلترا كانت سارة مرضية لكم وانكم تعودون حاملين طيب الذكر من زيارتكم لبلادي"

وكل فقرة من كلام هذا الملك العظيم حرية بان تكون موضع نظر لملوك المشرق وامرائهِ وان يطالب امم المشرق ملوكهم وامراءهم بتحديها . اي ملك منهم يستطيع ان يقول ما قالهُ ملك الانكليز انهُ لولا بعض الموانع التي لا سلطة لهُ عليها لحضر جلسات المؤتمر كلها وانهُ كان يطالع ما تنشرهُ الجرائد اليومية من الخطب والمباحثات على كثرة مشاغلهِ ومهامهِ وان عينهُ ترقب ما فعلهُ العلماء وما يفعلونهُ وما ينتج عنهُ من النفع للعباد . لا غرو ان بلاداً يهتم ملوكها بالعلم والعلماء هذا الاهتمام لحرية بان تسامي السماكين وتأمن طوارق الحدثان

شقر افريقية

لا يخفى ان في افريقية اقواماً بيض الوجوه شقر الشعور عجز العلماء عن معرفة اصلهم وكيفية وصولهم الى افريقية وقد ارتأى السنيور سرجي الايطالي في كتاب الَّفهُ حديثاً عن اصل الشعوب الاوربية ان اصلهم ليس من الامم الاوربية كما زعم البعض والأ لظهر اصلهم في لغتهم وعاداتهم ولا سيما دفن موتاهم ولكنهم من شعوب افريقية وما بياض الوجه وشقرة الشعر الأ من سكنهم في البلاد الجبلية العالية فانهم ساكنون في جبال اطلس ولارتفاع تلك الجبال وشدَّة البرد فيها كأَنهم ساكنون في شمالي اوربا

التين في اميركا

يظهر من تقرير المباحث الزراعية في اميركا ان الاميركيين نجحوا بعد عناء شديد في نقل التين الجيد من ازمير الى كاليفورنيا ونقلوا معهُ التين البري ايضاً وهو التين الذكر الذي يلقح بهِ التين الانثى بواسطة حشرات صغيرة تعيش في اثمار التين الذكر وتنتقل الى التين الانثى وتلقحهُ باللقاح الذي تحملهُ اليهِ من الذكر فتكبر اثمار التين ويجود طعمها كثيراً

مؤتمر علم الحيوان

التأم مؤتمر علماء الحيوان في مدينة برلين في الثاني عشر من اغسطس في دار مجلس النواب . وتلا الاستاذ غراسي المقالة الأُولى ووصف فيها تجارب كثيرة تثبت ان البعوض ينقل عدوى الملاريا وعدوى الحمَّى الصفراء ايضاً . ومن المقالات الكثيرة التي تُليت فيهِ مقالة للاستاذ فورل الاسوجي وصف فيها النمل وقال ان دماغ العمَّال او الخناثى كبير بالغ ودماغ الاناث اصغر منهُ ودماغ الذكور صغير جداً يكاد يكون اثرياً وان للنمل من الحواس النظر والشم واللمس والذوق واما السمع فغير ثابت لها . وحاسَة اللمس فيها شديدة جداً وفيها الذاكرة والاستدلال والشجاعة والبأس وحب الخصام والانتقام .

ومن اهم المقالات التي تليت مقالة للاستاذ شنك عن تولد الذكر والانثى ايَّد فيها مذهبهُ المعروف وهو ان تولد الذكر والانثى ناتج عن الغذاء . ومنها مقالة للاستاذ برنكو من برلين ابان فيها انهُ اذا حُقن حيوان بدم حيوان آخر فان كان الحيوان الآخر من عائلتهِ لم يضرَّ بهِ الحقن بدمهِ وان كان من عائلة أُخرى اضرَّ بهِ كانهُ سم نافع وعلى ذلك دم الحمار لا يضر الفرس ولكن يضرُّ الكلب . وقد وجد ان دم الانسان يميت كل الحيوانات ما عدا الطائفة العليا من القرود دلالة على انها من عائلة الانسان . وسيلتئم هذا المؤتمر في مدينة برن بسويسرا في المرة التالية

نوردنشلْد Nordenskjöld

توفي الاستاذ البارون نوردنشلد الرحَّالة الاسوجي المشهور الذي اكتشف طريقاً الى اسيا من جهة الشمال الشرقي . ولد بفنلندا سنة ١٨٣٢ وابوهُ اسوجي الاصل وكان استاذاً لعلم المعادن في مدرسة هلسنفور الجامعة فدرس فيها واقام في ستكهلم وجُعل استاذاً لعلم المعادن في مدرستها الجامعة ورحل اول مرة الى الاصقاع القطبية سنة ١٨٥٨ . ثم أُؤتمن على قياس خط الهاجرة فرحل ثانية سنة ١٨٦٠ ثم رحل رحلتهُ الاولى الكبيرة سنة ١٨٦٨ فبلغ الدرجة ٨١ والدقيقة ٤٢ من العرض الشمالي وجمع كثيراً من الحقائق العلمية عن نباتات الاصقاع الشمالية وحيواناتها. وطاف في غرينلندا سنة ١٨٧٠ ووجد فيها حجراً نيزكيًّا كبيراً . ووجد سنة ١٨٧٥ انهُ يسهل السفر شمالي اوربا واسيَّا في بعض شهور السنة واثبت ذلك سنة ١٨٧٨ فأُعطي لقب بارون لانهُ اكتشف طريقاً للملاحة من شمالي اوربا واسيا . ولهُ تآليف كثيرة اشهرها سفر الثيغا حول اسيا والرحلة الاسوجية الثانية الى غرينلندا . توفي في الثاني عشر من اغسطس في مدينة ستكهلم

جائزة نوبل

أُعطيت جائزة نوبل وهي مئتا الف فرنك للاستاذ فينسن مكتشف علاج مرض الذئب الاكال بالنور على ما ابناهُ في الجزء الماضي وبولُف الفسيولوجي لاجل بحثهِ في التغذية

النساء في مؤتمر السل

شاركت النساء الرجال في مؤتمر السل وتلاوة المقالات المفيدة فيهِ فقد قرأت الدكتورة ليديا بارينويتش مقالة في اللبن وسل البقر ابانت فيها انها اثبتت بالامتحان منذ سنة ١٨٩٩ ان ميكروب سل البقر يوجد في لبنها ولو كان السل كامناً فيها لا يظهر الاَّ بالتيوبركولين . وان كثرة تفشي السل في العجول والخنازير ناتجة عن كثرة وجود هذا

الميكروب في اللبن ولو كان السل غير ظاهر في ابدان البقر

وفيات السل

قال الدكتور تتهام من دار الاحصاء في انكلترا ان متوسط الوفيات بالسل سنويًّا من ١٨٩٦ الى ١٨٩٩ كان ١٥٢١ في المليون من الذكور و ١١٤١ في المليون من الاناث وقد اختلف عدد الوفيات باختلاف السن فكان بين الاطفال من الولادة الى سن ٥ سنوات ٤٠٣ في المليون من الذكور و ٣٣٤ في المليون من الاناث ومن سن ٥ الى ١٠ كان ١٤٠ في المليون من الذكور و ٢٠١ في المليون من الاناث ومن سن ١٠ الى ١٥ كان ١٩٥ في المليون من الذكور و ٤١٠ في المليون من الاناث ومن سن ١٥ الى ٢٠ زاد فتكهُ كثيرًا فصار ٩٠٨ في المليون من الذكور و ١١٦٥ في المليون من الاناث وبلغ معظم فتكهِ بين السنة ٤٥ و ٥٥ فصار ٣١٧٣ في المليون من الذكور و ٢٠٩٥ في المليون من الاناث. فلا صحة اذًا لما يقال من شدة فتك السل بالاطفال فانهُ افتك بالكهول منهُ بالاطفال سبعة اضعاف

وقال ايضًا ان معدَّل الوفيات بالسل كان ٢٥٧٩ في المليون بين سنة ١٨٥١ و ١٨٦٠ فصار ١٥٢١ فقط في المليون بين سنة ١٨٩٦ و ١٨٩٩ هذا في الذكور واما في الاناث فكان معدل الوفيات ٢٧٧٤ في المدة الاولى فصار ١١٤١ في المدة الثانية. واكثر هذا النقص في وفيات الاطفال فانهُ مات من الذكور منهم في المدة الاولى ١٣٢٩ في المليون وفي المدة الثانية ٤٠٣ فقط

السل والصنائع

قال الدكتور فون كوروسي انهُ بحث عن صنائع ١٠٦٩٥٤ نفسًا من الذين ماتوا وعمر كل منهم اكثر من ١٥ سنة فوجد انهُ مات بالسل نحو ٦١ في المئة من الذين صناعتهم الطباعة و ٥٢ في المئة من الذين صناعتهم السكافة والصباغة والطحانة و ٤٩ في المئة من الذين صناعتهم عمل الاقفال و ٤٧ في المئة من البنائين و ٤٢ في المئة من الخياطين و ٤٠ في المئة من الخبازين والنجارين و ٣٤ في المئة من المستخدمين و ٣٣ في المئة من الجزارين و ٢٨ في المئة من التجار و ٢٧ في المئة من اصحاب الفنادق و ٢٠ في المئة من المحامين و ١٢ في المئة من الاطباء و ١٠ في المئة من الماليين. فاكثر ما يفتك السل بالطبَّاعين واقل ما يفتك بالماليين

السل والمذهب

وجد الدكتور كوروسي انهُ يموت بالسل ٧٨٨ من كل مئة الف من اتباع لوثيروس و ٧٢٢ من كل مئة الف من الكاثوليك

و ٦٢٥ من كل مئة الف من البروتستانت
و ٥٥٩ من كل مئة الف من اتباع كلفينوس
و ٣٧٦ من كل مئة الف من اليهود

السل والفقر

ووجد انهُ مات بالسل ١٥ ٩٤٣ من كل مئة الف ماتوا من الاغنياء و ٢٢ ٣٣٩ من كل مئة الف من الفقراء فهو افتك بالفقراء منهُ بالاغنياء

السل والرضاع

توفي ٣٠٧١٧ طفلاً عمر كلٍّ منهم اقل من سنتين وكلهم من الذين كانوا يرضعون من امهاتهم او من مراضع فوجد انهُ مات بالسل منهم ١٦٦٠ . وتوفي ٦٥٩٦ طفلاً من الذين كانوا يرضعون بالرضاعة فوجد ان الذين ماتوا بالسل منهم كانوا ٥٣٣ اي ان الاطفال الذين يرضعون من الثدي يموت منهم بالسل نحو ٥ ونصف في المئة واما الذين يرضعون من الرضَّاعة فيموت منهم بالسل نحو ثمانية في المئة

السل وسن الوالدين

ظهر للدكتور كوروسي بالاحصاء ان السل يصيب اولاد الوالدين الصغيري السن والكبيري السن اكثر مما يصيب اولاد الوالدين المتوسطي السن فتكون الوفيات بالسل على اكثرها اذا كان عمر الام اقل من عشرين سنة ثم تقل رويدًا رويدًا الى ان يصير عمر الام من ٣٠ الى ٣٥ سنة وتزيد بعد ذلك

المدافع والبرَد

يكثر وقوع البرَد في بعض الاماكن فيتلف الاثمار والمزروعات . شاهدنا بردًا سقط مرةً في بيروت فخرق قروط الصبر كأنهُ رصاص البنادق وحرق ورق التوت حرقًا . وقد زعم بعضهم انهُ اذا اطلقت مدافع البارود في الجو وقت تكوُّن البرَد فيهِ لم يعُد البرد يتكوَّن حاسبًا انهُ انما يتبلور في الجو الساكن تبلورًا كما يتبلور الملح في الماء الراكد . وشاع استعمال المدافع لهذه الغاية في بلاد النمسا وايطاليا وفرنسا . وسئل المستر مور رئيس دار الاحداث الجوية في الولايات المتحدة الاميركية عن رأيهِ في استعمال هذه المدافع فاجاب ان الغرض منها ارسال حلقات من الدخان والهواء الى اعالي الجو ولكن اقوى المدافع التي تستعمل لذلك لا تدفع هذه الحلقات اكثر من ١٢٠٠ قدم فوق سطح الارض فلا تصل الى الغيوم مطلقًا . والنظر والعمل ينفيان فائدتها فان البرَد ليس بلوَّرات كبلورات الملح ولا هو يتكون في الهواء الساكن حتى يبطل تكوُّنهُ بحركة الهواء كما يزعم القائلون بفائدة هذه المدافع . وكل ما نشر عنها في السنتين الاخيرتين يدل على

انها خداع بخداع مثل الاعتقاد بتأْثير القمر في تقلبات الجو

الياقوت من الاليومنوم

خطب السر روبرتس اوستن في دار العلم الملكية خطبة موضوعها حرق المعادن وقوداً ابان فيها ان معدن الاليومنوم يحرق الآن فتتولد منهُ حرارة شديدة تلحم بها انابيب الحديد ثم يبقى منهُ بدل الرماد حجارة صغيرة من الياقوت والصفير وامتحن حجارة الياقوت التي تولدت من احتراق الاليومنوم امام الحضور فثبت لهم ان خواصها مثل خواص الياقوت الطبيعي

مجمع الاطباء البريطاني

التأم هذا المجمع في الثلاثين من يوليو الماضي فخطب رئيسهُ الدكتور فرغوسن في ان المباحث العلمية هي اساس كل تقدُّم طبي ومادي . وابان في عرض كلامهِ ان علم الطب مديون لعلماء البيولوجيا وعلماء الطبيعة عموماً في تقدُّمهِ اكثر مما هو مديون للاطباء ثم فصَّل ذلك تفصيلاً مسهباً [illegible]رجمنا خطبتهُ ونشرناها في جزءٍ تالٍ

الدوران حول الارض

تراهن ثلاثة من الغلمان الاميركيين على السبق في الدوران حول الارض فسبق احدهم واسمهُ تشارلس سسل فتزمورس ودار حول الارض في ٦١ يوماً و ١٣ ساعة و ٢٩ دقيقة و ٤٢ ثانية . ولا يذكر ان احداً طاف حول الارض بهذه السرعة

متى تمتلئُ الدنيا

بحث المستر سكولنج الاحصائي الشهير عن ازدياد السكان فقال ان ازدياد الشعوب الآرية آخذ في التناقص وان الشعوب التوتنية التي منها الانكليز والالمان والاميركان تزيد اكثر من الشعوب اللاتينية التي منها اكثر الفرنسويين والايطاليين . واكثر البلدان سكاناً الآن بلجيكا ويبلغ عدد السكان في الميل المربَّع منها ٥٧٢ نفساً . فاذا بلغ سكان الميل المربع الف نفس (وهو كذلك في القطر المصري) قيل ان البلاد امتلأَت بالسكان . وفي الارض ٥٢ مليون ميل صالحة للسكن فلا تمتلئُ الأَ متى بلغ عدد السكان ٥٢ الف مليون نفس واذا بقي ازدياد السكان على ما عليهِ الآن اي نحو واحد في المئة سنوياً بلغوا هذا العدد سنة ٢٢٥٠ للمسيح كما ترى في هذا الجدول

[illegible]	السكان بالملايين	عددهم في الميل
[illegible]	١٦٠٠	٠٣١
٢٠٠٠	٤٣٢٨	٠٨٣
٢١٠٠	١١٧٠٦	٢٢٥
٢٢٠٠	٣١٦٦٢	٦٠٩
٢٢٥٠	٥٢٠٧٣	١٠٠١

فلا تمتلئُ الارض بسكانها الأَ بعد ثلثمئة وخمسين سنة هذا اذا بقي متوسط النمو على ما هو عليهِ الآن

موسم القطن

انتهى الآن موسم القطن المصري فبلغ الوارد منهُ الى الاسكندرية ٥ ٤٦٤ ٦٠٦ قنطارًا اي بلغ موسم العام الماضي نحو خمسة ملايين قنطار ونصف مليون وكان موسم العام الذي قبلهُ ستة ملايين قنطار ونحو نصف مليون قنطار . وقد أُرسل من هذا القطن الى البلدان الاوربية والاميركية ما ترى في هذا الجدول وهو بالبالات المصرية وفي البالة منها نحو ثمانية قناطير

	١٩٠١	١٩٠٠
الى انكلترا	٣١٩١٦٨	٤ ٥٥٤٥
روسيا	٠٨٣٨٧٦	٠٦٨٧٨٦
فرنسا	٠٤٧٦٤٩	٠٧٨٢٢٠
المانيا	٠٣٩ ٧٧	٠٤٧٣٦٠
ايطاليا	٠٣١٠٠٣	٠٣٥٥٢٩
النمسا	٠٢٩٦٦١	٠٣٩٠٢١
سويسرا	٠٢٨٠٦٩	٠٤١٤٥٦
اسبانيا	٠٢٣٩٥٠	٠٢١٠٨٤
الهند واليابان	٠٠٩٠١٠	٠١٦١٣٠
بلجكا	٠٠٣٥٣٩	٠ ٥٦٣٩
تركيا واليونان	٠٠٢٢٤٤	٠٠٠٩٧٠
والجملة	٦٧٢٤٣١	٨٢٩ ١٢٤

علوٌ شاهق

صعد اثنان ببالون من مدينة برلين في ٣١ يوليو الماضي فارتفع بهما الى علو شاهق جدًّا يزيد على ١٠٥٠٠ متر ولا يُعلم كم يزيد عليها لان آلات قياس الارتفاع لم تعد تتأثر وبلغت الحرارة هناك ٤٠ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد

حركات الارض

يظن عامَّة الناس ان الارض ثابتة لا تتحرك . والحقيقة انها تتحرك اثنتي عشرة حركة وهي

(١) دورانها على محورها مرة كل ٢٤ ساعة

(٢) دورانها حول الشمس مرةً كل ٣٦٥ ١/٤ يوم

(٣) حركتها المعبَّر عنها بمبادرة الاعتدالين وهي تتم مرةً في ٢٥٧٦٥ سنة

(٤) الحركة الحاصلة من التجاذب بينها وبين القمر ودورها ٢٨ يومًا

(٥) حركة الكبو ومدتها ١٨ يومًا و ١/٢ يوم

(٦) الاختلاف في ميل دائرة البروج

(٧) اختلاف اهليلجية فلك الارض

(٨) اختلاف طول الخط بين نقطتي الراس والذنب وهو يتم في ٢١٠٠٠ سنة

(٩) اضطراب حركتها بفعل السيَّارات

(١٠) اختلاف مركز الثقل لكل النظام الشمسي

(١١) حركة النظام الشمسي عمومًا في الفضاء

(١٢) اختلاف العروض الدوري

فهرس الجزء التاسع من المجلد السادس والعشرين

٧٦٩ استئصال السل . للدكتور كوخ
٧٨٢ تذييل
٧٨٣ اساليب منع السل . للدكتور بروردل رئيس مدرسة باريس الطبية
٧٩٢ عمران دمشق . لمحمد افندي كرد علي
٧٩٩ اغنياء اميركا . لنسيم افندي بر باري
٨٠٤ رواية امينة
٨٠٢ شعر العرب وتاريخهم . لامين افندي ظاهر خير الله
٧١٧ العلم العملي
٨١٩ اللينوتيب والمونولين (مصوَّرة)
٨٢١ اصغر الممالك الدستورية
٨٢٣ مستقبل الصين . للامير شكيب ارسلان
٨٢٩ السير في الهواء (مصوَّرة)

٨٣١ باب تدبير المنزل * اسهال الاطفال · زينة المائدة · غطاء المائدة · الذهاب الى المائدة · المائدة التركية · اشربة مبردة · تسنين الاطفال · نوم الاطفال
٨٣٩ باب الزراعة * الاعتناء بالحملان . الحشرات القشرية . تسميد القطن . فائدة البرسيم في تقوية الارض . ري مصر والسودان . مواسم القطن
٧٤٩ باب التقريظ والانتقاد * كتاب حقوق الملل ومعاهدات الدول . الكوخ الهندي . مجلة . غادة كربلاء . مفتاح المحادثة . نبذة في الملاريا
٨٤٣ باب المسائل * زمن خلق آدم · امرأة قايين · زرع الكستنا · تلميع الثياب المكواة · كتب اليهود · التحنيط شجر التالبوت · انتخاب رئيس الولايات المتحدة . المبارزة
٨٥٦ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ٢٢ نبذة

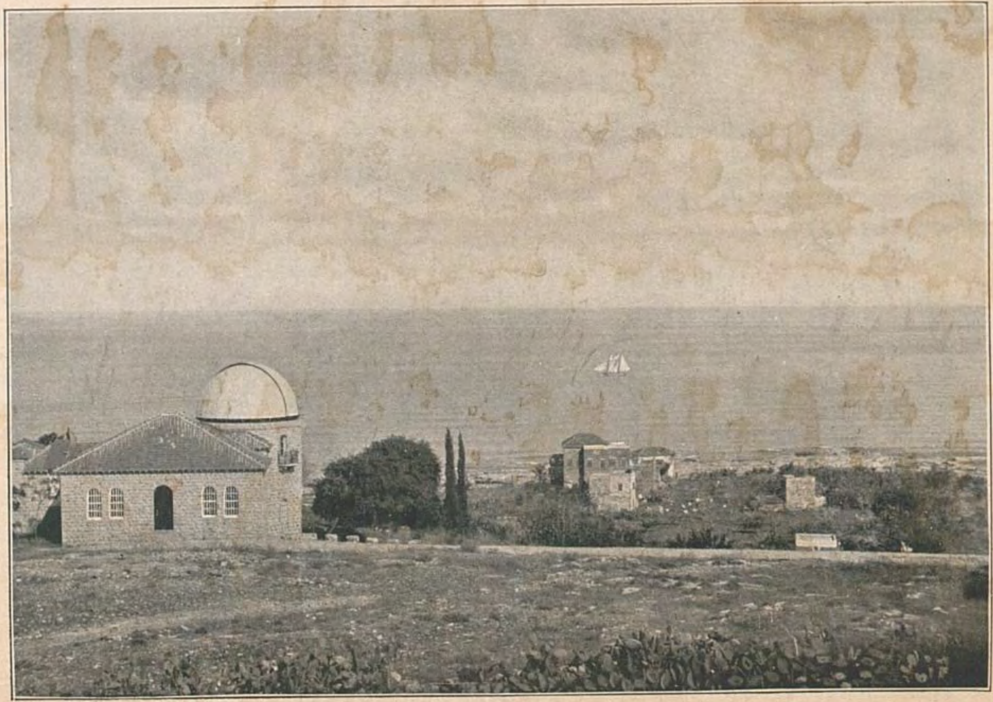

Observatory. View of Mediterranean.

مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت